روح أبجدية

مروى حمود

الكاتبة: مروى حمود

:Marwaalmiklafe20@gmail.com

اسم الكتاب: روح أبجدية

الناشر: بوك تايم

تصميم الغلاف: حسام الشرعبي

Hussam.adve

مراجعة وتنقيح: أمين العقاب

تنسيق داخلي: هبه محمد عبدالرشيد

:hbooshmoh94@gmail.com\ :Hboosh Moh

:he3l_94

الطبعه الأولى : ٢٠١٨

طبع هذا الكتاب بدعم من بوك تايم

أول متجر إلكتروني لبيع الكُتب الورقية في اليمن

للتواصل مع متجر بوك تايم

:taw1410

:734854031 :taw13

الأهداء :

إلى الحبِ المكسورِ في أعماقِ عمقي؛ لولاك ما كنت أكتب.

إلى وطني الجريحِ المدفونِ في قلبي..

إلى تلك الأرواحِ التي أصبحتْ نجوماً في السماء..

إلى تلك الروحِ النديةِ التي وعدتها بالإبداعِ والابتسامةِ ذاتَ ليلة..

إلى كلِ من أحبني،

آمنَ بي، وأنار لي ظلمةَ آفاقي..

إلى الفاشلين، الحاقدين..
إلى أنا التي حاربتْ واقعها بالحرفِ، والحلمْ.

روح أبجدية

من طينِ الأرض، ومطرِ السماء،

وببضعٍ من قطراتِ العنبر، وزهرِ الياسمين؛ خلقتُ أنا..

خلقتُ من روحٍ من حلمٍ و حرف...

خلقت فتاةً حالمةً بحجمِ السماء...

عنيدةً كفجر الصباح، طموحةً كشعاعِ الشمس...

قويةً كعاصفةِ الشتاء، وغامضةً كأنني سرٌ من أسرارِ الإله...

لا يُفهم لي تصرف،ولا يُعرفُ لي حال.

لا أجيدُ النفاق، وأتقنُ تماماً حبسَ مشاعري ،دموعي

وأحياناً أنفاسي حدَ الإختناق..

أعشقُ وحدتي، أرى في عزلتي فضاءً أجوبُ أفلاكه..

بيتي الذكرياتُ والأحلام، وعائلتي هي الكتب، صديقي القمر، ورفيقاتي النجيمات الساهراتُ في سمواتِ افكاري..

أداعب النسماتِ والضحكات، وأرقص للمطرِ وأُغنيهْ..

رسمتُ عالماً لا يحوى سوايّ؛ أهرب إليه من كوارثِ الواقعِ وبشاعته..

هناك وراءَ الغيوم، مافوقَ المسافات.! .

الفصل الأول

(خواطر نثرية)

لم يُخلق الحب إلا لي..

أريُد حَبيِباً خَائناِ

أُريدحبيبًا خُلقَ َمن رحم الدناءة،وشعاعه المظلم..

كائناًمن زبدِ الجحيمِ،ومستنقع الزرنيخ..

كائناً بعث من «مثلث الشيطان» ليسعى في الأرضِ خيانةٍ

أبحث عن كائنٍ غارقٍ بوهم الرجولةِ ولا علاقة له بها..

كائنًا من فصيلةِ الخونةِ لا اسم له ولا هوية..

أنا أنثى ولا عقل لي..

أقرُ و أعترف بجنونيِ التام وأُطالب السماء،

والطبيعة والمطر بحبيبٍ خائنٍ؛

يطلقُ أشواكه ُالزئبقية بطريقة الخازوق على قلبي، على روحي وكل جسدي..

أُريده دراكولا يقتلني ويقبرني بقبو عُمقه الأسود..

أُريده كالجاثوم

يجثو فوق حلمي..

أُريد حبيبًا خائنًا؛ يخونني ويتركني بعدها جسدًا يسكنه الفراغ و الفراغ و لاشيء سوى الفراغ..

ياأنتَ..

أريدكَ لي خائنًا حتى أكون لكَ تلكَ الفتاةَ الحمقاء التي خَدعتَها بأسطورةِ العشق وخزعبلات الحب..

فتاةً لا حول لها ولا قوة عَميِتَ بصيرتها حين أُوهمتها بحبك لها..

فتاةً جعلتكَ نواةً لكل ذراتها؛ فكنت لها ثقبًا أسود مجردًا من الحياة

فتاةً تنتظرك كل ليلةٍ فتعود لها كغرابٍ تفوح منه رائحة السُكرِ و النذالة، وعلى جسدهِ بقايا من أثارٍ ذات خيانةٍ..

فتاةً تتألم و تموت و تبعث من جديد فقط لتقتلها كعادتك..

كن لي حبيبًا خائنًا يذيقني المآسي لأبدع بما أعشقه أكثر منك؛ لأ كتب و أكتب حتى أموت...

كن لي خائنًا أعتزل بخيانته مع دفتري وقلمي..

لتكن خيانتك لي هي إلهامي الأ عظم الأبدي في هذه الحياة...

قدسني حد الخيانة؛ لأقدس خيانتك حد الإلهام.

أَحَرُفِي تُحبُكَ وتَخَذُلنِي كأَنت

وها أنا أعود للكتابةِ إليكِ للمرةِ المليونِ بعد الألف..

بعد أن أقسمتُ ذات فراقٍ أن لا أكتب عنكَ، لكَ، وإليكَ أي شيء.

ها أنا الآن أعود بعد شهرين من الجحيم البارد الذي ماشعرت بعذابه قط؛ ربما لأنني اعتدت على هذا الوضع فأصبح لا يُؤثر بي البتة.

أعود لأكتب لكَ كل ما حاولت كتابته على تلكَ الأوراقِ الممزقةِ حولي ولم استطع.

أكتبه لكَ..

ولستُ أدري!

لماذا أجد أحرفي هاهنا قد تحولت إلى راقصات باليه ممشوقاتِ القوام يتراقصن لتكوينك رقصةً بين أسطر السماء ذات مطر..

وكأن الكتابةَ في حضرة غيابك رجسٌ من عمل الشيطان..

يا أنت!

مالذي فعلته بي!

من أين لك بكل هذا الجبروت الذي أخضع قلبي وروحي له ذات لقاء..

حتى أحرفي أصبحت تفضل أن تشنق نفسها على أن تخونك وتنجب جملًا لا تخصك..

منذ أن اقتلعتكَ أنت وحبكَ المخذول من طرفكَ؛ شاخت أحرفي وهرمت وبتُّ كلما استدعيتها للكتابة تُصاب بزهايمر النسيان وتسألني:من أنا!

أنا..أنا فتاة مراهقة لم تبلغ العشرين بعد، وتحتاجك بجانبها في كل حين... أعرفتني؟!

حتى وإن حاولت كتابتها على حين غفلةٍ منها أجهضها الإحباط قبل أن ترتوي بحبر قلمي حتى..

أي لعنةٍ هذه التى أُصبتُ بها!

وأي عينِ حسدٍ هذه التي طالتني من كل حدبٍ وصوب..

أي وفاء هذا يا أحرفي!

الذي كسرني حتى بتُ شيئًا لا شيء منه..

أتُراكِ تضامنتِ معه وتركتني أغرق هاهنا في كل لحظة تمر عليّ..

أغرق في دوامة الملل والضجر القاتل..

هجرتني..

فأُصبت بشلل الكتابة ولا أحد معي ليقود كرسي خذلاني اللعين هذا..

يا أنتَ ها هي أحرفي تخذلني كما فعلت أنت..

وليس في وسعي الآن سوى الكتابةِ عنكَ وإليكَ لتمطر بصفحاتي البيضاء تلكَ الأحرف الوفية

ليست لي وإنما لمن كنت أقدسه ذات أوراق!

فراَقٌ لَا لقاء من بعدِه

غِيابكَ الذي كُنتُ أنتظر لقاءهُ على ضفة نهرٍ اكتشفتُ أنه نهر للخذلان لا أكثر..

قد جعلني أعتاد الآن على حضرة غيابيِ أنا عنكَ..

ببساطة تركتكَ خلفي ولم ألتفت إليكَ حتى أني قد قتلت ألف ذكرى وذكرى قبل أن تطاردني بها..

تركتك بعد أن خيرتك فاخترت موتي الذي ظننته ولكنه كان الحياة لي..

تركتكَ بعد أن شوهت ملامحي بنيران خذلانك الدائم المستقر لي..

تركتك وكأنك لم تعد شيئًا لي..

تركتك فاستعدت نفسي وقلبي وروحي وكل ما أملك

ببعض الندبات الأبدية

التي حصدتها من حبي الأحمق لك..

ها أنذا عدتتلك الفتاة القوية

التي خُلقت منطين الكبرياء

ونور الطهر

من رذاذ المطر

ذات فجرٍ..

عدت حرةً

بلا قيود حبٍ

لم يكن له وجود أصلاً..

لكنه كان داء، وسقمي اللعين..

أكذب عليك إن قلت بأني أبكيك، وأشتاق إليك.

لا..لم تعد تلك الدموع تعرف لعينيّ طريقًا منذ أن هجرتك..

وحتى الشوق قد أضاع دروبه إلى قلبي..

لطالما كنت عندما أتركك وأقسم بأنه الفراق ولا لقاء لنا من بعده..

أعود إليك بعد ساعات قليلة وكأنها الدهر بالنسبة لي..

أعود وأنا أجر خلفي بقايا كبرياء مزقهُ الشوق إليك.

أعود لأقول:أحبك

ولا من مجيب..

ولكن هذه المرة ليست كسابقاتها..

حقًا هذا الفراق هو الأخير ولا موت، لا وجع، ولا انتظار فيه..

اعتدت على غيابك

وقسوة تلك الحجرة المركونة في يسار ضلعك..

حتى بت لا أشعر بالغياب أبدًا.

خُذلاَنكَ كَأنهُ أَسِيد

لَا أعَلم بأيِ لغةٍ أَرْوِيكَ

ولَا بأيِ حبرٍ أكتبكَ، ولَا كيف أُشَكِل أبجديةَ اسمكِ حتَى..

لَطالمَا كُنتَ لي ذلكَ القريب البعيد، وكنتُ أنا لكَ لَا شيء..

أحببتكَ بكل ما أملكَ، ظننتكَ منجاتي ومكافأتي من الإله..

لكنكَ لم تكن سوى عاصفةٍ هوجاء اقتلعت جذور سُكوني، وسَممَتَ أعماقي بِأمطارهاَ الحمضيةِ

حتى غدوتُ لا أصلح للحياة ولكنني ممتازة جدًا لأحتضن الموت..

أبحرتُ بحبكَ كحوريةِ بحر فأَغرقتني أمواج خذلانك..

حلقتُ بك فكسرت جناحا حبي بمطرقة لا مبالاتك..

رسمتكَ على جدران روحي فكنت كالأسيد يذيب كل ذراتي..

ولماذا كل هذا!

ألأني أحببتكَ كما لم يحبكَ أحد من قبل؟!

أكثر من ثمانيةِ أعوام وأنا أحبكَ وأنتج وأنتَ تحبني أليس كذلك!

إذا لماذا تقول هذا!

لماذا تفعل هذا!!

لماذا؟ لماذا؟ لماذا...

بكل هذه البساطة تخليت عني!

لأنك جبان ولست برجل

انتهى كل شيء لأني تعبت من خذلانك الحارق لي..

حتى أنك لا تكف عن خذلاني في كوابيسي.

خذلانكَ أسيد يحرق كل شيءٍ بداخلي..

سَرقت لوني

وخطفت ضحكتي

أحلامي..أحلامي

هدمت بيتنا الصغير

أظلمت صباحنا

وأشعلت الحريق في ليلنا

وطفلنا شنقته بحبل خذلانك وجبنك..

لقد قتلت كل شيء

ولن أسامحك أبداً

حب مثقوب

أصبحت الثقوب تملأ روحي،

والقلب يحمل أطناناً من الهموم،

حتى أن الفيضانات تصنع كوارثها في مقلتايّ،

والضباب يلبس وجهي وكل جسدي..

ألا تشعر بي!!

أمازلت تتذكر بأن لي وجوداًبهذا الكون أم أنك نسيتني؟!

في حين أني خَلقت لكَ بين الضلوع وجوداً أبدياً..

من أي طينةٍ خُلقت!

ومن أي ماءٍ أصبحتَ كهذا!

ما كل هذا الجحود ياحجري؟!

ألا تشتاق لي بالخطأ حتى!

أتبخل عليّ بـ «كيف حالك؟»!

كم مرةٍ يجب عليّ أن أُلمح لكَ بأني متعبة وأحتاجك؟!

ألهذه الدرجةِ أمري لا يهمك!

أصبحت أتساءل..

هل ستشعر ولو بذرة حزن عليّ حينما تسمع بخبر وفاتي!!

أم أنك ستثبت للكون كله بأنك حقاً حجر!

ليتك أتيتني ولو لمرةٍ واحدةٍ فقط، تسألني عما يخنقني!

فقط «كيف حالك؟»

أرسلها إليّ لأشعر بالقليل من الأمان..

لأجيبك أنا بأن الروح التي تسكن جسدي

أصبحت كثقبٍ أسود لا يمتص إلا ألوان الحياة ولا شيء سواها؛

لأخبرك بأني أكرهك حد الوهم..

وبأنك حبي و عذابي الأزلي..

شقاء صبية الجبل

أشقاها حبهُ منذُ أعوامٍ ومازال..

وفي سكون الليل سألت حيرتها الغابرة:

متى تراني أُشفى من مرض حبه؟!

ضاج الليل من أعماقها، من براءة سؤالهاوسخفه قائلاً:

لربما بقى القليل لك حتى يرديكِ قتيلة

تحت أوراق الخريف ذات أيلول..

بكى القمر شعاعاً فضياً، وتهامست النجوم خفية لامعة وهي تشفق على حال صبية الجبل..

أتكون هكذا نهايتها محزنةٌ حارقةٌ للياسمين؟!

افترشت الصبية سفح الجبل الأخضر،

بعد أن سمعت حديث النجوم،

وتحت ظل القمر بدأت الصبية رحلتها

إلى عوالم الدمع والأسى..

يا ويلي أهكذا يقتلني الحب وأنا على قيد الحياة!

أأعبر برزخي!

بعد ميلادي الجديد

بعد شهري الأول

وعامي الأول!

أهكذا يقتلني الحبالذي أعاد إحيائي

من بين شقوق الصخر، من تحتلحاف الشجر!

ليتني ما أحببتوما قابلت

ليتني كنت عمياء،

بكماء

صماء

بلا رأسٍ

ولا قلبٍ

بلاجسدٍ بلا تراب..

ليتني لم أكن شيئًا

ليتني ماولدت..

ليتني كنت هباءً منثورا.

هكذا أحببت

لو كنت أدري

أنه نار الجحيم ما آمنت به

لو كنت أدري

أنه لون السواد ما لبسته

لو كنت أدري

أنه إعصارٌ مدمرٌ ما اقتربته.

لو كنت أدري

أنه طاعونٌ مميتٌ ما جاورته.

لو كنت أدري

أنه الموت نفسه ما أحببته ولا عشقته.

يا لي من فتاةٍ حمقاء

صدقتُ أن الحب موجود

حتى اللحظة،

ومازال يتربع

في الوجود..

صدقتُ، آمنتُ،فحلمتُ، فأحببتْ..

هكذا أحببت

وأنا ممتلئةٌ بكل شيء..

سعادة..

مرحًا وحياة..

ظننت أن الحب

سيزيد كل أشيائي،

وسيعيشني..

بين أصداء مهرجانات الألوان،

وسيراقصني في كل صباحٍ ومساء..

ظننت أنه كالجنةِ

غزير الأنهار والأحلام.

كنت أظنه..

مدينةٌ من غيومٍ

تسكنها الأقمار

والنجوم..

وأنا من بيدها

الصولجان..

ولكن بعد فوات الأوان

اتضح بأن كل شيء

قد كان وهماً..

كنت أعيشه

بلا عقل

بلا وعي..

ها أنذا

أصبحتُ فارغةٌ

من كل شيء،

أصبح لا ملامح لي

ولا روح

وأعيش ألف جحيمٍ وجحيم.

أكتب لا لأني أحبك

أَكَتُبُ لكَ..

رُغم أني أقسمتُ بأن لا أكتبكَ بين أسُطري، وبأن لا أذكركَ بين أبجدياتي..

أكتبُ لكَ..

لا لأني أحبكَ بل لأني أكرهكَ أكثر من أي شيء..

سأكتبُ لكَ..

كرهي، وحقدي عليكَ..

كنتُ كالغزال الوديع فقط لأني أحبكَ..

والآن ستراني شيطانةٌ ذات قرنينِ لأني أكرهكَ..

لا يمكن أن أعُطي لأي شيء في حياتي سوى شيئان:

الحبُ أو الكره ولا شيء أخر..

أن أحبكَ حباً لا مثيل له، أو أن أكرهكَ كرهاً لا وجود له..

لهذا أرغب كثيراً بالكتابة لكَ بكل كره..

هاهي أمي تجلس على سجدتها وتدعو الله بزوجٍ صالحٍ لي..

تخطط هي وابي لزواجٍ ربما أجُبر عليه..

أحقاً يمكن أن يأتي يوماً أجبر فيه على الزواج!

ربما..

لطالما كنتُ أدعو الله بأن يجعلكَ لي نصيباً، وكل الحياة..

أنت تدركَ هذا تماماً، لكنك لم تكن تُبالي..

كنتُ حجراً بكل ما تحملهُ الكلمة من وصف..

كنت تظن بأن لا أحد سيأخذنِي منكَ سوى قرار عائلتنا، والنصيب..

لكنني مدينةٌ لكَ، بكل الخذلان الذي كنتُ أشعر به حين تخبرني بأن لا أعيش في الأحلام.

لكنني كنت أحلمُ رغماً عني، أحلمُ قبل نومي، وأثناء نومي، وبعد نومي..

لكنني أدركت الآن بأنك لم تحلمُ بي، ولم تؤمنُ بواقعٍ يحتضننا تحت سقفٍ واحد..

يا للبؤس..

ماهذا الحبُ البائس؟!

أكان حباً أم وهماً «النصيب يصيب»كما تقول

أتراه يدق بابي قريباً!

لا أتمنى هذا

ليس لأجلك لا تفكر بالأمر حتى..

أنا أكرهكَ حقاً.

حالياً لا شيء يهمني سوى دراستي، وأحلامي..

وإن كان نصيبي قريب،

أريده شخصاً..

يشدو بيدي، ويمضي بي نحو أحلامي..

أريده سنداً لي، يسهر لراحتي، ويراني شيئاً مقدساً..

أريده رجلاً لي، يُسكنني وطناً في أعماقه لا حروب ولا ظلام فيه..

أريده حبيباً لي، يتلو عليّ دواوين الشعر، ويكتبها لي..

أريده زوجاً لي، لا حدود لحبه، ولا نهاية..

أريده أباً لأطفالي، يلعب معهم، يعلمهم، ويكون لهم قدوةً حسنةً..

كانتَ مثلاً كي أنتقم منكَ أشر انتقام لا أكثر..

لأني أكرهكَ كرهاً لا حدود له، وليس لأني أحبكَ أبداً..

فستان من كبرياء

سَأَكُون قِطَعَةً من القمر سقطت سهواً بين أضواء فرحتكَ وأنغامها..

أميرةٌ من عالمِ الخيالِ والأساطير..

سأُصيب الحاضرين بسكرةِ الدهشةِوالحيرة،

وربما الغيرة..

ياإلهي!

من أي شيءٍ خُلقت هذه الفتاة؟

ومن أي جنةٍ بُعثت؟!

هذا ما سيهمسون به لأنفسهم...

بينما أنتَ تعيش حالة إرتباك وتوتر ممزوجة بفرحة (يوم زفافك) بينما تحاول التحكم بأنفاسكَ وضربات قلبكَ..

سأَسبقك أنا وأمشي على السجادة الحمراء وموسيقى الآلهة تعزف لي..

خطوةٌ..خطوة..

والنظرات تتبعني، تتفحص تركيبي، وأمٌ هي أمي تجلس هناك تحصنني من أعين الحسد..

أصل إلى (الكوشة) أُلقي سِهام نظراتي عليها، أجلس بالمكان الذي ستجلس عليه قريباً

وكأنني سأُلقي عليه بعض التعاويذ، وأحصنه من الشر..

سأُغمض عيناي للحظة أتنهد خلالها، ثم أبتسم ابتسامة نور..

بعدها سأقف بكل شموخ، وابدأ جنون ليلتي التي لطالما تخيلتها..

سأتراقص كنُجَيمة بُعثرت في فضاء المجرات،

وأضحك وأهز مشاعري وكل جسدي..

وبعد ساعات ستطل أنتَ بكامل بهاءكَ وأناقتكَ، تفوح منكَ عطور العود، ودعوات الوالدين، وتهاني المحبيين..

كل الأضواء والنظرات ستنقسم بيننا لكَ فرحاً ولي دهشةً..

سألتقط لكَ صوراً بعدسة عيناي،

وأحتفظ بها في ألبوم ذاكرتي الرمادية..

يدها تمسك بيدك، ويدي تمسك بقلبٍ ينبض بالوجع..

تتمايل هي فرحاً وغنجاً، وروحي تهوي ألماً إلى سابع أرض..

تلبس هي فستاناً من الأبيض،

وأنا سألبس فستاناً من الوجع المكتوم ذات خيوط سوداوية اللون..

هي ستسرح شعرها بالطريقةِ المعتادة،

أما أنا فسأسرحه بفرشةٍ من الشوك،

وأضع عليه طوقاً من زهور عمري الذابلة..

ستكحل عينيها بألوان الطيف،

بينما أنا سأكحلهما بدموعٍ لا تُرى ولا تسيل..

ستتلون وجنتيها بحمرة الخجل المزيفة،

وسألون وجنتاي بلون الكبرياء المؤلم..

ستضع على شفتيها لون الفرح،

وسآتي أنا وشفتاي بلون حبٍ مخذول..

ستتزين بمجوهرات قد اشتريتها لها،

أما أنا فسأتزين بكدمات حبكَ الأبدية..

ستجلسان على (الكوشة)،وسأقف أمامك

ستلتقي نظراتنا،وسيتوقف الزمن لبرهة؛

سنعود إلى زمن حبنا المخملي،وذكرياتنا القرمزية..

إلى دعوات كنا نرسلها إلى السماء مع زهور البنفسج

أن نكون لبعضنا

لوعودٍ أقحوانيةٍ تلوناها ذات يوم..

سنعود إلى شيءٍ كبير يحطم فؤادنا..

بعدها ستشيح بناظريكَ عني، تبتسم لها، تقبلها، وتحتضنها،

ثم ترقص معها على الأغنية التي غنيتها لي ذات مرة..

وأنا لن تفارق شفتاي ابتسامة الكبرياء..

ستحملها بين يديكَ وتذهب بها لحياة جديدة،

وأنا سأعود بعد عبور برزخي الأخير..

وبين ثنايا لحافي،

وتحديداً فوق وسادتي التي تحملت عذابي

وكل أثقال دموعي، وكتمت كل صرخاتي

سأموت أنا..

ليكتبوا على شاهدة قبري

(عاشقةٌ لبست من الكبرياء فستاناً بلون اللا نصيب)

وأنت بارك الله لكَ وعليكَ..

ذات حب

أحببتكَ حتى أيقنتُ أن الأرض قد غدت جنةً عرضها أنتَ وأنا..

وبأن النعيم لم يخلق إلا لنا..

جعلتكَ لي وطناً لا غربة فيه ولا ضياع،

تثور من جناباته ثورة الحب فقط..

وطناً لا يتسع إلا لي ولكل أشيائي..

وطناً أعيشه فيكَ مع طفلين -لا ثالث لهما- هما ثمرتا عشقنا المخملي.

وطناً يحتضننا فوق الغيومِ

حيث النجوم وقطراتِ الندى.

ظننتكَ وطني الذي سأعيش فيه كل الحب والسلام،

وسأحقق فيه كل الأحلام والأمنيات؛

لكنك لم تكن إلا صحراءً قاحلةً أماتتني عطشاً،

ثم أحرقتني بنارها، وبخرت كل الظنون..

وأجهضت طفلايّ من رحم الأمنياتِ

ودفنتهما بجوف الخذلان والوجع..

هكذا غدوت أقف على عتبةِ الزمان جسداً لا روح فيه؛

أنتظر روحاً لا لون لها ولا حياة

روحاً مازالت حتى اللحظة خلف الغيوم

تفتش عن حلمِ الأمس،

عن وطنٍ من سراب،

وحبٍ لا مكان له...

ثقب أسود

وإن نظرت لقلبي؛

لوجدت ثقباً أسود قد امتص منه الحياة

وتركه فارغاً من لا شيء

وأي شيء..

ولوجدتني

غائبة الحس

ومرهقة الوعي...

تمطرني الأحزان

بحمضية قاتلة

لا حياة من بعدها..

لأصبح..

نجمة قد حُجب ضوءها

تدور في أفاق الكون

لا تدري أين هي

ولا أين تذهب!

حولها أجرام لا تدري مالها تدور.

وتحطيها سحابة رقيقة

من غاز خيبات،

وغبار الأمنيات..

شُهب محترقةً

تختزلني بلاأي هوادة..

ونجومٌ تلمع بجمالها

ساخرة من حالي..

وأقمارٌ تهمس لبعضها

شفقةً على ماقد أصبحتَ عليه..

فقد أصبحت عابرة سبيل

بدرب الضياع..

حجري الأسود

تملكتني رغبة قوية في الكتابة الآن..

ماذا سأكتب؟

لمن أكتب؟

لا أعلم!

أنا فقط أرغب بالكتابة لأي شيء..

لحجري الأسود مثلاً!

أشعر لأول مرة منذ أن تعثرت ووقعت بك بالندم..

نعم هذه أول مرة أقر بهذابعد ثماني سنوات..

أندم حقاً على كل ذلك الجهد،

والوقت الذي أضعته لأجل شيء

أدركت لتوي أنه لا يستحق..

نادمة حقاً على كل الاهتمام الذي قابلته أنت بتجاهلك الصخري..

وكل الوقت الذي أنتظرتك فيه بقلب ينبض لهفة وشوقا

في حين كنت أنت قاسياً لا تبالي..

أيعقل أن تتحول جنة الحب إلى جحيم تذيب الأحجار وتصهرها..

أشعر بكره شديد يحرق اللاشيء الذي ملأتني فيه..

لا أعلم كيف حدث كل هذا حتى أكرهك!

مازلت تحمل نفس الخواص الفيزيائية التي اعتدتك عليها..

نفس البرود والتجاهل أليس لهذا أسميتك «الحجر الأسود» خاصتي.

أظنني اكتفيت منك؛

لم يعد لي أي قدرة على مسامحتك

ونسيان جروحك التي تقتلني بلا هوادة..

وتلك المسافة التي مامر يوم إلا وزادت بيننا أصبحت لا تعنني..

أتصدق بأن حتى وصالك لم أعد أبالي به..

يالله أبعد كل هذا!!

اليوم فقط أدرك هذه الحقيقة الطاعنة للفؤاد!

أأفنيت ثمانية أعوام على شيء

استنزف كل الحب والإهتمام والمشاعر التي أملكها!!

هذا يكفي؛

فلتقرأني

أيها الحبيب الأوحد

أيها القريب البعيد

أيها العزيز الغائب

أنت يا حجري الأسود الغالي:

للجحيم فلتذهب؛

لا أهتم..

حين وقعت بالحب

حين وقعت اختل ذلك الروتين البائس..

وتغيرت كل أبجديات حياتي..

نبضات قلبي

أصبحت تتسارع تارة

لتتباطئ تارةً أخرى..

أنفاسي ماعادت تدري أهيَ شهيقٌ أم زفير!

نظراتي إن قُرِأَت؛ لفضحتني، وكشفت حالي..

وأما تفكيري ..

فلم يعد يفكر إلا بِه.

حين وقعت..

أصبح الليل رفيقي

أُساهرهُ لننسج معاً قصص الحُبِ اللذيذةِ كقطعةِ سُكّر.

لقد أصبحت حياتي مُشرقةً كالشمس

كبرت أحلامي،و زادت آمالي..

أصبحت ابتساماتي وضحكاتي تتبعثر في الآفاق..

وأصبحت حروفي تُرجمان لقلبي الممتلئ بحُبه..

ملكتُ كل شيء؛ حينما وقعت في الحب..

امرأة كأنا

محظوظٌ أنت إن وقعت في حبِ امرأةٍ مثلي..

امرأةٌ تجعلُ من عينيك كتابًا مقدسًا تتلوه حبًا،

وعشقًا أبديًا في كل حين..

امرأةٌ تقدس المشاعر حد الإيمان..

امرأةٌ تكتبك بالخط المقدس على جدران قلبها،

وفوق أسطر حياتها القرمزية..

تفكر كيف تُحبيكَ حبًا!

كيف تقتلك اشتياقًا، وفراقًا!!

امرأة تؤمن بأن الجمال هو جمال العقل،

والقلب، والروح وجمالها بعلمها، وثقافتها..

امرأة تعشق الأساطير،

وتنقب عن التاريخ في عصور ضاربة في القدم؛

لتكون لها أسطورتها الخالدة..

محظوظ جداً إن وقعت في حب امرأة كأنا

تثق بنفسها حد الغرور،

امرأة مجنونة بالحياة، والضحك.

أبسط أسرار سعادتها رذاذ المطر، والأيسكريم..

امرأة تحلم بالطيران، وبتذوق طعم الغيوم..

امرأة تخبر كل من حولها أنها عشيقة نزار قباني السرية

التي يتغزل بها في شعره..

امرأة تضحك حين ترى شاربي سلفادور دالي فنان القرن العشرين، وتغوص في لوحات السريالية، والتكعبية والانطباعية..

امرأة تؤمن بأن الموسيقى هي لغة الحب، والسلام العالمية..

امرأة ترقص فوق سمفونيات موزارت، وتشايكوفسكي، وبيتهوفن

في السماء..

أنت محظوظ إن أحببت امرأة متمردة لا تخاف،

ولا تفعل إلا ماتراه الصحيح..

امرأة تكتب آناء الليل، وأطراف النهار..

امرأة لا تعرف للعنصرية دين، ولا للحروب منهجًا..

محظوظ إن وقعت في حبها،

وستكون أكثر سعادة إن أحبت هي رجلًا كأنت..

لا تخسر امرأة كأنا فهي جنة الدنيا ونعيمها..

مفعمةٌ بالجنون

أشعر بأن براكين الجنون كلها قد تفجرت بداخلي..

أريد الضحك، أريد القفز، أريد الطيران،والرقص،

أريد تذوق الغيوم، واحتضان النجوم، أريد أن ألبس القمر..

أريد سلمًا موسيقيًا يوصلني إلى الفضاء حيث ملايين المجرات..

أريد فرشاةً أصور بها الجمال، وأحتفظ بين ألوانها بالحياة..

أريد ورقًا ومقصًا لأبني بيتًا للفراش، وزهرًا أنام بها بأمان..

أريد أن ألعب مع النحل وأتسابق مع السلحفاة

وأرنو إلى ما وراء المحيطات فوق الدلافين..

أريد كونًا أزهو به،

كونًا يتسع لكل جنوني..

أريد..

أريد أن أعطس بالحرب بعيدًا إلى ما وراء الحدود إلى الموت..

ماذا لو

ماذا لو كنت تمثالًا في متحف اللوفر في فرنسا.

وكنت كل ماتبقى من حضارةٍ قديمةٍ اندثرت منذ آلاف السنين!!

ماذا لو كنت ساعة بيغ بن، أو برج إيفل، أو حتى بقايا تمثال الحرية!

ماذا لو كنت إحدى لوحات دافنشي التي يتعمقها الغموض،

أو إحدى فرش بيكاسو الملطخة بلون الغرابةالتكعيبة،

أو نوبة جنون انطباعية لفان غوخ،

ماذا..ماذا لو كنت شاربي سلفادور دالي

تقف بكل شموخ سريالي!!

ماذا لو كنت سلمًا موسيقيًا لبيتهوفن أو موزارت..

ماذا لو كنت نقطةً على سطور شكسبير

أو حتى إحدى فلسفات سقراط..

ماذا لو كنت تلك الغيوم الزرقاء

التي تتشكل في فصل الصيف في سماء القطب الشمالي!

أو حتى قطرات المطر التي لا تستطيع السحب كتمان سرها!

ماذا لو كنت ثقبًا أسوداً ذا جاذبية أكبر بثلاث مرات من الشمس،

أو حتى أبيضًا لا يهم!

ماذا لو كنت أنا التيتانيك أو حتى جبل الجليد الذي أغرقها بإذن الله!

ماذا لو كنت طاووسًا ذا جمال إلهي،

أو غزالا أو حتى سنجابا!

ماذا لو أنني من المثلجات أو غزل البنات!

ماذا لو كنت من كل شيء، وأي شيء إلا إنسان!

الفصل الثاني

(رسائل سماوية)

كل الحُب والسلام لوطني..

ولتلك الأرواح التي أكتبها..

رسالة صادرة للحرب

أَيتُهَا الحَرب..

لعَنةُ الله تَغْمرِكِ وتُسكنَكِ قعَر الجَحِيم..

لا أعلم كيف أو حتى لماذا أكتب لكِ يا شُؤم ميلادي!

قد جعلتني وطنًا لا روح فيه ولا حياة،

كنتِ الاحتلال الذي انتهكَ حُرمتي قهرًا وغزوًا،

فكسرتِ أغصان البن والياسمين وأحرقتيها بنيران الفتن..

اغتصبتني وأنا بمحرابي أتْلوُ تراتيل الحلم،

وأكتب بمحراثي أسطورتي الخالدة..

منُذ أن بزَغ نجم تاريخي وأنتِ حاضرةٌ تحومِين حولي..

كلعنةٍ مشعوذةٍ في ليلةٍ قمريةٍ حمراء..

كطاعون نشر وباءه على ملامح جسدي،

واستوطن ذراتي، وكل أنويتي عنوَّة وعنفًا..

كشيطانٍ لعين نذر للجحيم بأن يذخرني لها حطبًا..

ها أنا أكتب لكِ هذه الرسالة من تحت سوط عذابكِ..

لأقول لكِ أني بكل ما تبقى لي

سأشرق كشمسٍ لا تغرب..

سأعود مع ضحكات الأطفال، وأغنيات العشاق، وصلوات الكبار..

سأعلو بعلو جبالي، وأرنو إلى نجمتي السهيلة، أقهقه معها،

وأخبرها كيف أني نثرت رمادكِ بعد أن أحرقتكِ

بأمطار سماءي، وجعلتكِ هباًء منثورًا..

كل لعناتي وغضبي يمطرك حد الغرق

حد الموتِ، حد التعفنُ والتحللُ..

المرسل: وطن

لوطن لا حلم فيه

وَطنيِ..

سَلاَم الإلهِ ورحمتهِ عليكَ..

مضى وقتٌ طويل منذ أخرِ مرةٍ كتبتُ لكَ فيها،

منذ أن بكيت عليك، واشتقت إليك. .

اعذرني..

فقد أصابنيِ جفافٌ وطنيٌ هذه الفترة..

أخبرني الآن..

كيف حال ماتبقى منك!

كم صاروخاً اليوم إخترق سماءك!

كم قذيقةً شوهت أرجاءك!

وكم لغماً فجر أراضيك!

وكم رصاصةً احتكت بنسماتك!

ومن انتقل إلى مثواه الأخير!

ما أخر الإنتهاكات التي تحدث لك!

ومن يرقدون الآن في جوفك، أتعرفهم!

لا بأس إن كنت لاتعرفهم،

تستطيع أن تتعرف عليهم من الآن إلى أن تقوم الساعة..

دعنا من كل هذا الآن..

لقد سمعتُ بأن السماء تمطركَ بمطرها اللذيذ منذ بضعةِ أيام..

أهذا صحيح!

أم مجرد أضغاث أحلام يحلم بها الفقراء والبائسيين..

عموماً لقد أسعدني الخبر،

ويؤسفني أنها كفترة نقاهة لك لتعودبعدها كما كنت..

هدفاً مفضلاً لصواريخ الحروب..

سيسعد الكثير بهذه الأمطار أليس كذلك!

ولكن كيف سيكون حال من يسكنون الشوارع،ويلبسون العراء!!

كتبت لك اليوم لأني أشعر بالسوء..

ألا تريد أن تسألني عن حالي!ومالذي أصابني!

حتى يتسنى لي إخبارك بأن لا حال لي بهكذا واقع..

لأخبرك بأن أيامي تمضي هكذا إلى حيث لا أدري..

وأن جبلاً من الهموم يجثو فوق قلبي..

حتى أشتكي لك ممن يسرقون ضوء الأمل من عيناي،

ويغرقونهما بالدموع..

حتى أشاركك طعنات الخذلان والبؤس التي تلتهمك بلا هوادة..

لأقول لك بأن الغد الذي أفنيتُ فيه عمري القليل

وأنا أحلم واخطط له حتى تفخر بي وبإنجازاتي..

ربما لن يكون سوى سراب من الأوهام. .

لماذا؟

لأني أفقتُ فيه لأجدني بلا وطنٍ يحتضنني وأحلامي..

لأصبح يتيمة وطن اختارته الحروب جحيماً لها

بدل أن يكون لي ملجأً ومحراباً أبدياً لكل ما أريده..

أفقت لأراه ضبابيّ المعالم، عديم الملامح..

أألومك أنت!

على كل الفيضانات التي تغرق روحي حزناً وموتاً

أم ألوم فلذات ترابك؟!

أألوم واقعي الذي جعلني أنثي حالمة

تنتمي إلى وطن قدره أن لا حدود لدماره..

وإلى مجتمع لا حدود لجهله..

لكوني أنثى-كما يقولون- مقيدة لا تستطيع فعل أي شيء

بسبب العادات والتقاليد التي أبغضها حد الموت،

والتي ستصيبني بالجلطة يوماً ما..

لا وطن ولا مجتمع ولا واقع يقف ولو لمرة واحدة معي..

أشعر بأن كل ماحلمت به سيتبخر رغم أني لست ممن ييأسون..

لكن هذا مايصفعني به واقعي كل يوم..

وقد ضقت به ذرعاً..

أتعلم!!

أخاف كثيراً من أن يكون مصيري ذلك المصير

الذي ينتهي بزوجٍ يدمن القات

وأطفال كعدد شعر رأسي يزعجونني..

آه يالهي..

لا، أرجوك، ليس هكذا..

أهكذا قدر لنا أن لا حياة ولا أحلام مادمت أنت وطناً لنا!!

ماذا أفعل!

سأصاب بالجنون إن لم أحقق كل ماأطمح إليه..

والآن أخبرني يا وطني!

كيف السبيل إلى وصالها دلني!

رسالة بدم العروبة إليكم

بقي القليل فقط لموعد موتي الأخير، وانفجاري الأعظم.

لست أدري لم تفعلون بي كل هذا؟!

لست أفهم ما الذي تريدونه مني بالضبط؟!

كنت لكم كل شيء وكنتم لي سبب شقائي وموتي.

قتلتموني ذات حلم.

ألبستموني رداءَ الوهن والخراب،

وملأتموني بتجاعيد حاضر مؤلم ومستقبل مجهول.

تتمزق تضاريسي في كل مرة تختلفون بها،

وتصرخون، وتتقاتلون وتموتون لأجلها،

وتُدفَنون مع جزء مني.

تخنقونني حين تخدعونني بأني لكم أهم من كل شيء،

لكنني لا أجد منكم سوى النار والموت..

لا شيء يهمكم سوى السلطة، النفوذ، القوة...

بالنسبة لكم أنا لست إلا قطعة أرض رسمتم حدود أطماعكم عليها، وبعثرتم الفقر والموت عليها عشوائياً...

كُلًّا يتبع أحزاباً، وطوائف، وعصابات، وجماعات متطرفة،

لا أحد معي سوى من لا حيلة له،

أنا وهو في خندق واحد نعيش في سرداب صنعتموه لنا

يلونه الموت وتسكنه أشباح الظلام.

أتمنى الموت في كثير من الأحيان

حين يلومني البعض على كل ما اقترفته يداه.

لماذا؟

ماذنبي أنا في كل ما تحدثوه فوق جسدي النابض بالحب والخوف!

قبل ساعة كنت في قمة لأتعس الأوطان وأضعفها..

وكنت من بين المراكز الأولى،

بكيت.. وبكيت، بكل حرقة وألم..

هل سمعتموني؟

لا أظن.

لم أجد سوى شقيقاتي من فراشات الربيع بجانبي..

وبكينا معا حال شعوبنا المخزي والموجع لنا.

«ولا حياة لمن تنادي»

أنا كيان من تراب وسماء وجبال وماء.

أكرمني الله ووهبني جمالاً ربانياً وتاريخاً عظيماً..

لكنكم شوهتموه بكل شيء، بأسلحتكم الخفيفة والثقيلة

ولم يبق سوى القليل المنبثق من بين أدخنة الحروب.

لو أنني عقيمة لا شعب لي لكنت بالنعيم الآن، أليس كذلك؟!

يا إلهي ها قد استيقظت الحرب على جسدي من جديد.

قبل أن يغمى عليَّ بروائح حربكم المسمومة.

عليكم أن تدركوا، أنكم لاشيء بدوني.

لا تاريخ ولا هوية ولا أرض،

لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل..

أتعلمون أنه بسببكم أصبحتُ مهزلة الغزاة،

ومزبلتهم بعد أن كنت مقبرتهم.

وبأنكم منبوذون من العالم، ليس لأنني وطنكم،

بل لأنكم شعبي فلذات أكبادي العاصية.

عتبي وكل غضبي عليكم يا شعبي الذي تسكنني

منذ بزوغ الفجر ولم تسقني سوى الموت..

آه والف آهٍ على شعب يغني للوطن كل صباح

ثم يقتله كل مساء..

عدالة الإله

مرحباً أبي..

كيف أنت؟

أعلم بأن سعادتكَ بقرب الله لا توصف..

وبأنك أيضاً تراقبني وتزورني حين المنام..

أتعلم! أنا سعيدة جداً اليوم..

حسناً سأخبرك..

دعني أولاً أتنفس الصعداء..

آه.. إني أشعر براحةٍ لطالما تمنيتها منذ أن رحلت إلى السماء..

سعادتي اليوم لا توصف، حقاً حقاً أنا فرحة جداً..

اليوم قُتل من قتلك يا أبي

قُتل من حرمني منكَ ومن حنانكَ وعطفك..

قُتل من بسببهِ أصبحتُ يتيمة..

من رمّل امي،

وأثقل جفون جدتي،

ومات على أثره جدي..

قُتل من بسببه تدمرت عائلتي وتشتت..

من بسببه أصبح وطني منكوباً تملؤه ثقوب الحروب..

أبي اليوم تحققت عدالة السماء،

واستجيبت دعواتي وصلوات أهالي الشهداء..

قُتل كما قتلك إلا أنه للجحيم ذاهب إن شاء الله..

سأدعو الله كما كنت من قبل موته..

أن يُحرّم عليه الجنة أبد الآبدين..

نعم أنا أكرهه، وكرهي له تخطى اللاوعي..

وحقدي عليه لن يجف حتى بموته..

حقيقة طريقة موته كانت قليلةً بحقه كثيراً..

ها أنا أبكي الآن شوقاً إليك يا أبي..

تذكرت أخر يومٍ رأيتك فيه، حضنتك، قبلتك، ناديتك أبي..

قلت لي بأنك ستعود ليلاً قبل ميعاد نومي لتحكي لي حكاية..

لكنك لم تعد وأنا انتظرت وانتظرت، إلى أن غلبني النعاس..

استيقظتُ ولم أجدك سوى جثةً هامدة لا تتحرك ولا تتنفس..

ناديتك أكثر من مرة، صرخت حتى شحب صوتي

بكيت كثيراً لعلك تكف عن مزاحك الثقيل

لتضمني لصدرك الدافئ وتسكت صراخي وتمسح دموعي..

ولكنهمدفنوك تحت التراب ولم يعد لك وجود سوى بقلوبنا..

العم محمد(صاحب البقالة)أتذكره؟

قد قتله ذلك المجرم اللعين بِأحد صواريخه اللعينة

أظنك قابلته، صحيح فهو أيضاً شهيد مثلك..

أخبره بأن الله قد اقتص ممن قتلكم

وأخبر الجميع، رغم ظني بأنكم تعلمون هذا..

على كلٍّ كتبت هذه الرسالة كعادتي الدائمة في الكتابة إليك

و أثق بأنها ستصلك فكل ماأرسلت لك

برسالة تأتني وأنت تضحك في منامي..

أمي تبحث عني،

سأذهب الآن وأضع رسالتي عند قبرك

قبل أن تكتشف زوجتك الحبيبة غيابي ..

لتكن بخير..

أبلغ تحياتي لمن معك..وأنتظر رسالتي القادمة..

أحبك...

لأبي الشهيد

السلام والحب عليك أبي..

كيف حالك؟!

ترددت كثيراً بكتابة هذه الرسالة الأشبه برسالة سماوية..

ولا أعلم من أين أو كيف ابدأ!

أبي، اليوم هو ذكرى استشهادك أتذكر!

إنه اليوم الذي قُتلت فيه فقط لأنك طالبت

بالحرية، والعدالة، والكرامة..

أنه اليوم الذي سرقتك مني رصاصة بلطجي

لا ضمير له، ولا ملامح..

استهدف بها ذلك النور الذي يشع من بين ضلوعك..

إنه اليوم الذي ارتوى فيه الوطن بدمك الطاهر، وبماء الحياة..

إنه اليوم الذي أصبحت فيه يتيمة الأب

ابنة وطن..

اليوم هو اليوم الذي ماتت فيه براءة ملامحي، وعنفوان طفولتي..

شخت كثيراً يا أبي أكثر مما تتخيل، للحد الذي يرديني شبحًا لا لون له، ولا روح.

اليوم أنا أشتاق لك يا شهيد الكرامة..

في الأعوام الماضية كنت أشعر بغضبٍ وحقد شديد أنهك قلبي وروحي..

حين كان قاتلك يسرح ويمرح بلا حساب وكأن يداه لم تتلطخابالدماء وكأنه لم يقتلك..

اليوم هو أول ذكرى لاستشهادك وقاتلك قد أخذ عقاب الدّنيا،

وبقى عقاب الآخرة بإذن الله.

أتعلم يا أبي!

أمي منذ الصباح وهي تحبس نفسها بمحرابها تبكي ذكراك وجعًا لا حدود له..

تنفض الغبار عن الذكريات التي كانت ولا زالت مصدر قوةٍ وحياة..

تعتكف على ذكراك وتصلي وتدعو لك..

تدعو أن يجمعها الرب بك في الفردوس الأعلى حيث النور فقط..

لم يعد بإستطاعتي الكتابة فأصابعي الصغيرة التي تعودت على قبلاتك أصبحت ترتجف كثيراً..

والعينان اللتان كنت تتأملهما أصبحت الدموع تغرقهما طوال الوقت..

الفاتحة على روحك يا أبي،

يا شهيد طفولتي

يا شهيد الكرامة

يا وطني..

أحبك...

عتاب

أرغب اليوم بكتابة رسالة حب وحنان لعتاب..

تلك الطفلة التي استشهد والدها وهو يدافع عن حق البقاء، حق الحلم، والحرية..

يدافع، ويرسم طريقاً لمستقبلٍ أفضل.

عتاب..

اسم على مسمى..

أقدر لك أن تعيشي حياتك كلها بالعتاب على من حرموك من حياتك!

آه يا طفلتي كم أنهكتك الحياة وأنت مازلت بعمر الطفولة..

عتاب الأمس،

وعتاب اليوم..

أنت عتاب الوطن الذي ظلموه،

وأحرقوه، ودمروا كل شيء فيه..

طفلتي الجميلة، بالأمس رأيت والدك يلبس نور البدر ويتلو تراتيل السلام الوطني..

أخبرني أن أرسل لك الكثير والكثير من القبلات التي مامرت لحظة إلا وطبعها على جدران قلبك الرقيق..

أخبرني أنه يزورك دامًا، وأنه بجانبك طوال الوقت

وهو يحرسك مع الملائكة التي عن يمنك وشمالك،

هو في أعماقك ينير روحك..

أخبرني بأنه سعيد جداً كونه شهيد الكرامة، والوطن..

ولأنه والد الطفلة عتاب التي حملت هم اليتم وجرح الوطن على كتفيها الصغيرتين..

قال لي:أخبريها بأن ابتسامتها التي نذرت أنها لن ترسمها على ثغرها الجميل إلى حين أن يحاسب من قتلني وجعلني أيضاً أنتصب فخراً بأن هذه الطفلة خرجت من صلبي..

لكنها أحزنتني وأبكتني شوقاً لها..

أهكذا تجعلينه يحرمك من والدك ومن ابتسامتك!

تلك الابتسامة التي كانت تُذهب شقاء عمري..

يا ملاكي أتقدمين أغلى ما تملكين!

وتنتزعينه من أذنيك الصغيرة

مكافأة لمن يقيم العدل ويقتص ممن قتلني!

أرجوك أخبريها بأن حزنها علي يؤلمني كثيراً

قولي لها أن والدها يريدها أن تكون فراشة سعادة، وعصفور فرح.

أريد أن تفتخر بي، ألا تبكي، أن تبتسم لي كلما نظرت إلى السماء

وتدعو لي وهي تضحك..

أرجوك أخبريها بأن والدها يحبها كثيراً

وبأنه ماضحى بروحه لأجل هذا الوطن

إلا لأجل مستقبل جميل لها..

هذا ما أخبرني به والدك يا عزيزتي..

واليوم..وفي ذكرى استشهاد والدك..

انتقل سفاحه لعذاب الله بإذن الله..

لقد اقتص لك الرحمن وأقام العدل،

ومن قتل والدك قد قتل بذات الطريقة..

أسعيدة أنت!

عتاب لا أعلم ماذا أكتب لك ولكن..

والدك يحبك ولا يريد لك الحزن أبداً..

الطريق الذي بدأ برسمه عليك أنت تكمليه..

لك الحب والود يا طفلة الوطن..

خلف القضبان

أبي..

السلام عليك والحرية..

أخاف كثيراً من أن أسأل عن حالكَ!

ربما لا يجدر بي إلا أن اسأل أأنت تتنفس!

أمازال قلبك ينبض بالحياة!

أم أنك رحلت!

لا أعلم كيف أبدأ بهذه الرسالة،

ولا حتى كيف أتتني القوة لأكتبها..

رغم أني حاولت أن أكبح اشتياقي لك..

لكني فقدت السيطرة..

أنا أحتاجك يا أبي، أحتاج لأكتب لك..

لا شيء أحتاجه في هذه اللحظة سوى أن تكون بجانبي..

أحتاج لنظراتك الحانية وكلماتك العطوفة

ولحضنك الذي لا يمنحني سوى الحياة والدفء..

أبي، اليوم هو اليوم الذي لطالما حلمت به..

اليوم يوم تخرجي من الثانوية

وكما وعدتك اجتهدت حتى نلتُ أعلى الدرجات،

بينما الآن صديقاتي يرفع قبعاتهن إلى السماء..

أنا معك هنا، أكتب لك ولا أدرى إن كان سيأتي يومٌ وتقرؤها..

أبي أين أنتَ الآن فابنتك تحتاجك كثيراً

تشتاقك وتبكيك حد الموت..

منذ أن اختطفتَ بلا أي حق وبلا أي تهمة أو ذنب

لم يعد لحياتنا أي معنى..

مازلت أتذكر ذلك اليوم مظلم الملامح..

كنت أشعر بأن سوءًا سيحدث لكن لم أهتم..

وبعدها أنت لم تعد، إلى الآن ما زلت أنتظرك لكنك لم تعد..

مضى عامٌ بأكملهِ وأنت لست هنا ولا أدري أين أنت حتى..

أمي تنتظرك كل ليلة تقف أمام النافذة؛ تنتظر قدومك من المجهول..

ترتب ثيابك، وتبخرها بالعود وأحياناً ترتديها..

وكأنها ترتدي عطرك وروحك..

وأما جدتي فقد ابيضت عيناها، وهي تبكيك خوفاً وإشتياقاً..

ساءت حالتها الصحية كثيراً،

وربما تغادرنا قريباً كما يقول لنا الطبيب..

هي لا تريد الموت دون أن ترى فلذة كبدها أمامها سالماً معافًا..

هذا ما تقوله لنا دموعها وهي تتدحرج من بين تجاعيد وجهها الشاحبة

حتى جدي غيابك قد أثقل كاهله،

وشاخ قرونا وهو يبحث عنك هنا وهناك..

كل شيء تغير وغاب معك..

هم لم يختطفوك وحدك؛ بل اختطفوا قلوبنا، وأحلامنا معك..

إلهي فلترجع لي أبي سالماً،

وأنجه ممن وقع تحت وطأتهم..

أبي أرجوك فلتعد إلينا..

أحبك...

صديقي شلبي

مرحبًا قطي

كيف حالك!

اشتقتُ إليكَ كثيراً

أنت والمارد وشوشني..

هل هو بخير!

أبلغه سلامي..

أنا «بُو» صغيرتكَ أتذكرني!

ها أنذا أبلغ من العمر خمسة عشر عامًا مرعبًا ومظلمًا؛

فالعالم الذي أعدتني إليه أصبح أكثر رعبًا من عالمك.

في الحقيقة أكتب لك هذه الرسالة وأظنني مجنونة؛

فلا أحد يصدق وجودك، حتى أنا بعض الأحيان..

أقول لنفسي بأنك وعالمك لستما إلا من نسج خيالي الطفولي.

ولكن شيئا بداخلي يؤمن بوجودك.

ففي كل مرة أفتح فيها دولابي أشعر بك.

لم أكن أخاف من ماوراء تلك الدواليب التي تظهرون أنتم منها؛ لتخيفوا الأطفال حتى تستمدوا من صراخهم طاقة تنير لكم حياتكم..

لكنني الآن أصبحت أخاف مماوراء باب منزلي..

عالمي بالخارج مرعب جدًا بطريقةٍ قاسيةٍ لا تتخيلها..

أتعلم!

تستطيع «شركة المرعبين المحدودة» الاستثمار في عالمي هذا،

حقًا ستكسبون طاقةً تكفيكم لمليارات السنين الضوئية.

صدقني لست أبالغ ابدًا..

فقد أصبحنا نحن البشر نخاف من كل شيء وأي شيء..

نخاف حتى من الحياة نفسها لهذا، يفضل البعض منا الموت انتحارًا..

صديقي شلبي..

في عالمي أُناس مرعبون أكثر بكثير من أصدقائك..

هم لا يرعبوننا فقط، بل يقتلوننا أيضًا...

في عالمي كل الصحف والقنوات تُملأ بطلاسم الرعب والقتل حتى أصبحت وكأنها عادة يومية لا غنى عنها. .

وكل خرائط أوطاننا شوهت بالحروب والفساد..

الحروب الطاحنة كالوباء انتشرت متى بدأت وكيف ومتى ستنتهي!

لا نعلم..

نحن فقط ننتظر صاروخًا أو قذيفةً، أو مرضًا يقذف بنا إلى الموت..

أما أرواحنا فقد جثت عليها جواثِيم الظلام وأبت الرحيل..

في عالمي كل له تخصصه المرعب الدموي..

أصبح عالمي عبارة عن أرضٍ قاحلةٍ من السلام والحب

تكون فيها إما القاتل أو المقتول!

أتصدق بأن عدد الغربان أصبح أكثر من عددنا نحن البشر..

أصبحت تحوم حولنا تنتظر موعد انقراضنا الأخير..

إن أتيتم إلينا؛ لشَاخَت أرواحكم حتى الموت..

صديقي..

الحروب مرعبةٌ حد الموت!

أتمنى أن لا تعيشها لتموتها..

كل ليلة أنتظرك

لتخرج من دولابي وتنتشلني من هذا العالم المرعب..

أصبحت جثةً هامدةً تنتظر أجلها يا صديقي.

فهلا أتيت إليّ لتنقذني!

سأرسل لك دائماً رسائل عبر دولابي فأنا الآن أشعر بالأمان الذي سرق مني منذ أعوام..

سأنتظرك و ردك عليهن فلا تتأخر علي أرجوك..

فقد بُتُ أشعر بأن نهايتي أصبحت قريبة..

أحبك صديقي المرعب اللطيف.

صغيرتك «بو»

ما بعد الغياب

عزيزي؛ مر وقت طويل..

طويل جداً، أكثر مما كنت أتخيله، أكثر مما أقدر أن أصبر عليه..

حينما تركتني على قارعة الطريق على أمل العودة واللقاء..

وشمس آذار قائمة فوق رؤوسنا شاهدة على مايحدث تحتها..

شاهدة على كل ترانيم الوعود المقدسة، وتراتيل بنفسجية الحب..

وبعد حضن الوداع ذهبت إلى المدى البعيد..

كنت أنظر إليك بعيناي اللتان لطالما عشقت الغرق بهما..

كنت أتوسلك أن تعود، أن لا تذهب، أن تبقى ههنا بقربي،

حتى غبت عن ناظري واختفيت..

وكأنك لم تكن يوماً سوى محض سراب..

«لَستِ أَمَامَ عَينَيَّ، لَكِنَّك كُلُّ مَا أَرَى»

هذه رسالتي العاشرة بعد المائة؛

بعد نصف عقد من الزمن..

هذا الربيع الخامس الذي تغيب عنه و عني..

لطالما أحببت الربيع.

تقول بأنه الفصل الذي رأيتني فيه لأول مرة

ووقعت فيه سجيناً لحبي..

مازالت للحظة هذه أتنفس ولا أعلم متى ستكون أخر أنفاسي!

أعلم بأن مسالة مرضي تسبب لك ضغوطاً أكبر من عمرك؛

ولهذا لم أرد أن أخبرك عنه..

كنت فقط أريد أن أتركك لأجل أن تجد لك فتاة أخرى

تكوّن معها العائلة التي حلمت بها دائماً..

بيت صغير على قمة الجبل تحيطه شجر الصنوبر،

ويملأ جوه عبير المروج..

أنا وأنت وطفلينا جود و جودي..

اسمهما جميلان، أليس كذلك!!

على كل حال..

كيف حالك الآن؟!

اشتقت إليك كثيراً..

أشعر أحياناً بالغضب منك..

فرسائلك باتت تقل كلما مر الوقت..

لم تصلني منك سوى بضع رسائل هذا العام؛

كل يوم أقرؤها حتى بدت أحفظها..

كل جملة، كلمة، وحرف..

أتخيلك وأنت تمسك بقلمك الذي أهديته لك بعيد مولدك العشرين،

وبعض الأوراق المبعثرة حولك على الطاولة،

وفي الأرض بضع أوراق قد مزقتهن

وأنت تحاول أن تكتب لي رسائلك

بجانب جبال من كتب الطب التى تدرسها

وكتب أخرى، ورائحة عطرك تلوح من حولك

اشتقت لعطرك كثيراً..

كثيراً ما أفكر؛

أنه رغم كل فوضويتك وطيشك؛

أحببتك وأنا التي كانت مهوسة الترتيب واللافوضوية..

تحب أن يكون كل شيء في مكانه،

وتؤمن بأن لكل شيء مكانه، هدفه، وكمية المحددة..

كنت أؤمن بأن الفوضوية هي مرض خبيث يجعل العالم أكثر سوداوية..

إلى أن ظهرت أنت، ودخلت حياتي التي كنت أضنها بيضاوية ، لهذا كرهتك كثيراً أولاً..

كنت تعبث بكل شيء من حولي،

حتى وصلت لقلبي، عبثت بنبضاته،

وأسكنت فوضويتك في حجراته الأربع،

وملأت ذرات أنفاسي بالزهر والبنفسج..

فأصبح لعالمي قوس قزح بعد سحب المطر..

لطالما كنت أسال نفسي؛

كيف لأرواح متناقضة متضادة أن تجتمع وتصبح روحاً واحدة؟!

كيف لنا أن نحب بعضنا كل هذا الحب رغم كل هذا الإختلاف؟!

ومؤخراً حتى أدركت الإجابة..

«لقد خلقنا لنكمل بعضنا البعض»

نعم بكل بساطة هذه هي الحقيقة..

أنا ولدت لأكون لك، وكذلك أنت..

صحيح بأني ربما أموت قريباً

وأسفة كثيراً لأني ذكرت الموت، وخلفت بوعدي لك..

لكن هذه هي الحقيقة..

أعلم بأنك تركت عائلتك،

أرضك، وأصدقائك وكل حياتك، فقط لأجلي..

لأجل أن تصبح طبيباً وتنقذني من مرضي الذي لم ينجو منه أحد..

أنا لا أعلم كم من الوقت بقي لي، لكنني سعيدة جداً،

وراضية تماماً بكل ماعشته من الوقت فقط لأنك كنت فيه..

أنت الحياة بالنسبة لي..

لا يهم إن قتلني هذا المرض اللعين أم لا..

كل مايهمني أن تبقى كما أنت بفوضويتك المشرقة،

وإبتسامتك المجنونة، وغموضِ ملامحك..

أثق تماماً بأنك ستصبح طبيباً ناجحا،

حتى وإن لم تنقذني، ستنقذ الكثير غيري..

وأنا سأعيش بداخلك لن أتركك أبداً،

سأكون ظلاً لك، وملاكًا يسكن أعماقك..

سأكون نظرك، صوتك، وكل أنفاسك..

عزيزي؛

تذكر دائماً بأن الحياة ستستمر حتى وإن أنا رحلت..

لن يتوقف أي شيء، ستكمل حياتك كما كانت..

حسناً يكفي هذا..

سأكمل حديثي برسالة أخرى،

فحبر قلمي سينتهي الآن وكلامي لن ينتهي إليك أبداً..

فلتكن بخير دائماً..

حية أو ميتة

أنا أحبك

أنت الحب

أيتها الطفلة الكبيرة أنت حقاً مجنونة،

وقد أصبتِ قلبي بجنون حبك..

أخبريني يا عدوة طفولتي، يا كابوسي البريء..

بماذا أناديك الآن وقد كبرنا، ومضت سنون طفولتنا الشقية، وحزمنا حقائب العمر لأيام لم نكن نعلم ما بها..

لأيام غدونا فيها زهرتان في بستان الحب، وقمران في سماء العشق..

لأيام اتحدت بها روحينا تحت ضوء القمر الساطع ذات ليلة أسطورية،

وغدونا روحاً لها جسدان يعزف لها سنفونية ذات نوتات ملائكية

كنا نسمعها منذ الصغر دون أن نعلم ما ينتظرنا..

أخبريني!

أبحبيبتي الغائبة أدعوكِ!

أم بفتاتي المشاكسة!

أم بملاكي الساحر!

حضوركِ يصيبني بارتباكٍ أتلذذ به حقيقةً..

اشتقت لما كان يصيبني بسببك،

أنا اشتقت..

حقاً اشتقت لك كثيراً. .

ثلاثة أعوام منذ أن رحلت، وتقطعت سُبل الوصال؛

عانيت خلالها بوجع الفراق والبعد، والشوق والحنين،

بمشاعر لم تكن تترجم إلا بدموع ليلي الوحيد..

فشاخ القلب، وتمزقت الروح حينما هاجمتني أوهامٌ بأنكِ نسيتني، وأصبح غيري حبيباً لكِ..

وقبلها عامين حين حرمتني العادات والتقاليد من رؤيتكِ

والتحدث إليكِ بصفتي لست بمحرمك،

أي دين يحرم حبيباً من حبيبته بحجة أنه ليس بمحرم!

وكيف لا أكون محرمكِ وأنا أحبك حد الموت

ويحرم عليّ نساء الأرض غيرك!

أتذكرين متى بدأ حبنا!

أنا لا أعلم!

صدقيني لا أعلم متى غزا حبك قلبي،

واجتاح كل أنوية ذراتي!

لا أعلم منذ متى وأنتِ تتمددين تحت جلدي، وتسكنين أعماق أعماقي!

وكيف جعلتني لا أرى الأشياء إلا بك!

أتعلمين! كلما أغمضتُ عيناي أتذكر وجهكِ حين يشع خجلاً مني؛ أعشق كثيراً تلك اللمعة التي تنبثق من عينيكِالمثيرتين،

وما يثير جنوني هما شفتاك الكرزيتان..

أعترف لك بأني أحسد الآيس كريم حين يعلق بعضه على شفتيكِ،

بل وأغار منه لأنك مهوسة به..

أأنا مجنون يا ترى!

أكاد أطير فرحاً اليوم؛ فبعد خمس سنوات ها أنت تكسرين كل الحواجز التي وضعت بيننا وتفتحين نافذة نتواصل من خلالها..

لا تتصوري حجم السعادة التي غمرتِ بها قلبي الصغير..

رغم أن كلماتكِ كانت عاتبة غاضبة علي؛

إلا أني ضحكت من أعماقي..

رَدّي لكلماتك كان غبياً جداً، أعلم هذا، وقد أصابكِ بخيبةٍ كبيرة..

أتعلمين؟ أنتِ محقة

أنا فعلاً غبي، ولا أصلح للحب..

لأني جبان..

نعم جبان، لأني لن أغامر لأجلك..

أنا فقط سأجلس أردد مقولة تقول»النصيب يصيب»

قد أخسركِ ولكن هذا النصيب..

وقد خسرتك الآن حقاً

ولهذا..

أنا أعتذر لكل تلك الخيبات التي أسقيتكِ إياها دون أن أعي ذلك..

أعتذر لكل تلك الأيام التي جعلتكِ فيها تنتظرينني،

دون أن أراعي شوقكِ إلي..

أعتذر لأني كنت نقطة ضعفكِ بدلاً من قوتكِ..

لأني لم أهتم بكِ، ولم أحاول أن أجاري حبكِ لي..

أعتذر لقلبكِ الذي أحرقته كلماتي الغبية الجارحة..

ولروحك التي كسرتها بسبب تصرفاتي الأنانية. .

أعتذر لوقتكِ الذي أضعتيه بانتظار رجلٍ لا يبالي..

ولعمرك الذي أحببتِ فيه رجلاً لا يستطيع التعبير عما بداخله..

أعتذر لأني قلت لك بأني سأكتب رسالةً لك منذ عامين

أصارحكِ بكل مشاعري؛ وجعلتك تنتظرين إلى الآن..

إلى أن افترقنا وأصبحنا هباءً منثوراْ

إلى أن قررتِ أن تكتبي أنتِ هذه الرسالة لك وكأنها مني.

ربما لتغفري لي بعضاً من ذنوبي التي تعصر فؤادك..

ولترممي جزءاً من روحك المحطمة..

ولتكتبي بدموعك الحمراء

(رسالة حبيبٍ كان بقلمي)

فراق النصيب

عزيزتي؛

قبل أن أبدا بكتابة ماقد زرعته وسقيته من الحب لك في أعماق قلبي وفي ثنايا روحي..

اعلميأنك كنت الأنثى الوحيدة من بعد أمي من استوطنت القلب والروح..

والآن..

كيف حالك؟!

أتمى أن تكوني بأفضل حال.. لأجلي على الأقل..

أعلم بأن فؤادك قد أذابته حرارة الدموع، وأنهكته الأوجاع..

أنا أيضاً أعاني مثلك وأكثر قليلاً..

لا أعلم من أين أتتني كل هذه القوة لأكتب لك هذه الرسالة!

أهي رسالة وداع أم إشتياق؟!

أنا حقاً لا أعلم..

لم أعد أدرك شيء!

أكان وقوعنا في الحب جرما؟

أم أن الحب للفقير أصبح حراماً؟!

هل المال أعظم من الحب بهذا الزمن؟!

لقد أحببتك من أعماق قلبي.. أكثر مما تتصورين..

كنت لأجلك سأزرع الصحراء وردا ونغما..

وسأجعل من البحر دربا تسيرين فيه فقط لأجلك..

لأجل حبيبتي..

أنت تعلمين ماكنت سأفعله لأجلك

لكنبسبب ظروفي المادية أصبحت عروسًا لغيري..

أشعر بكره شديدة لي ولوضعي..

أنا حقاً أكره نفسي لأني خذلتكونفسي وخذلت هذا الحب..

أنا أحتقر نفسي لأنني آذيتك بهكذا حب

وجعلتك تبنين الأحلام معي ثم هدمت كل شيء

بسبب قلة حيلتي لأني لا حول ولا قوة لي..

ولهذا فلتغفري لي حبي لك وخذلاني..

والحياة التى ستعيشينها مع غيري..

اعلمي بأنها ستكون موتي..

لقد سقط شيء ما بداخلي، هناك!

نعم أنها أحلامي قد تحطمت؛

ولم أعد سوى رجل لا روح له..

مثلك تماماً امرأة لا روح فيها..

أثق تماماً بأنه في يوماً ما سنلتقي ونحكِي،

كَيف سَارت بنا السُبل حتى اللقاء..

إليكَ يا أنت

من عمق ذاكرة الأيام،وغيومها الشاحبة،

وبحبرٍ من الخيبةِ التي أنبتتها بداخلي،

وببضع دموعٍ أحاول عبثًا حبسها؛

أكتب لك رسالة أبعثها إليك من بين مقابر الخذلان.

رسالة لا سطور لها سوى أهاتي العنيدة..

ها أنذا على قيد النسيان وكل شيء هنا بخير..

فمازال قلبي للحظة هذه ينبض

وحتى روحي مازالت تثور بالحياة..

مازلت أحلم،وأضحك، وأصاب بنوباتِ الجنون اللذيذةِ أيضاً..

مازلت أغني، وأكتب للحب الذي كفرت به من بعدك..

حتى أنني أحياناً أشتيه؛ ولكن ليس معك أنتَ..

لا تصدق من يقول بأن الفراق قاتل،

وبأنه يدفننا ونحن على قيد التنفس..

فما هو إلا أضغاث أحلام تراود الخونة فقط..

الخونة اللذين يظنون بأننا من بعدهم لا وجود لنا..

من يظنون بأنهم هم الحياة لنا، وبفراقهم نموت..

لا تصدق بأن نبضات القلب تموت إذا فارقها الحب..

وبأن الروح تشيخ حتى الانصهار..

لا تصدق كلام الفلاسفة،

وقصص الشعراء الغرامية

فما هم إلا بالجنون يهذون..

هه لا أحد سيموت لأجلك حتى وإن قال هذا..

أبدًا لا تصدق هذا الهراء..

وأرجوك..أرجوك لا تصدق

بأن «الحب ماهو إلا للحبيب الأولِ»

فهذه أكبر أكذوبة تتغلغل في صدورنا كالشيطان الرجيم..

لا تصدق كل هذا..

فقط صدق بأنني أحببتكَ في يومٍ ما؛ وبأنك خنتني..

وأنا سأحاول أن لا أصدق بأن فراقك هو الموت بحد ذاته..

لذلك البعيد

قبل غروب الشمس..

حاولت النوم لأرتاح قليلاً من مرضي..

شعرت بأن راسي يدور كما لو أنه طاحونة قمح..

وبأن أذني اليسرى التي لطالما اعتادت على سماع صوتك،

والتي الآن تشتاق له ستنفجر كقنبلة حرب..

عيناي لا تريدان سوى الظلام،

وقد أصابني الزكام ولا أعلم السبب

ليس فصل الشتاء، ولم أخرج من البيت..

حتى أن كل مفاصل جسدي تؤلمني..

كل هذا يحدث لي دون أن تدرك حتى أنه لا يحق لي أن أكرهك!!

أتعلم ما الجزء المضحك هو أني طلبت لأول مرة تناول الدواء

لكنني لم أجده..

حاولت النوم وكعادة دائمة رحت أفكر..

لا تستغني عني الأفكار حتى وإن كان لا طاقة لي..

حاولت النوم مجدداً لمرة العاشرة..

ولكن من سيجعلني أرتاح!

حتى الحشرات لا تحب أن تراني مرتاحة..

تبا لها حقاً لقد ضقت ذرعًا بهكذا حياة

يجب على أن أسافر، أن أكون وحيدة بنفسي وبك..

مهلاً!

أنا أريد أن أعلم لماذا أكتبك بكل شيء أكتبه

سواءً كان يخصك أو لا يخصك؟!

أهذا هو الحب!

أم هو ايماني الكامل بأن كل شيء في حياتي يجب أن يخصك..

أنا أحب مشاركتك كل مافي حياتك

ربما لهذا السبب أكتبك دائماً

بين حروف لغتي التي كنت أنت نورها الوحيد

بين دهاليز ظلام هذا الواقع..

حسناً يكفي هذا اليوم..

قبل أن أنهى رسالتي أود تذكيرك بما أذكرك به دائماً

لتنتبه لقلبي الذي يسكن يسار صدرك فهو أغلى ما أملك..

ولا تنسى بأني أحبك..

لصديقي

أرغب بكتابتك أتسمح لي!

أعيش بسببك فوضي عارمة منذ أيام قد سببتها لي دون أن تدرك هذا!

أصبحت نفسي تتشاجر معي معظم الوقتِ؛ وتسألني أسئلة أعجز عن أجابتها..

لماذا؟

حاولت كثيراً أن أجيب على هذه السؤال؛

ولكني لم أفلح بالإجابة،

أو ربما لا أريد أن أعرفها خوفاً منها

منك .. ومني أيضاً.

حالياً أنا أشعر بالكثير من الغضب منك يا صديقي..

لماذا؟

لأنك.. لأنك تنشغل بأشياء أخرى..

لأنك تجعلني أنتظرك طوال الوقت ولا تأتي. .

ولماذا أنتظرك؟!

لا أعلم..أريد محادثتك فقط، وسماع صوتك..

أريد أن أتشاجر معك..

أن أعاندك وأضجرك أيضاً. .

أريد أن أستلذ بغيرتك عليّ

أنت صديقي..

أليس كذلك!

أطبيعي أن أشعر بشوقٍ كبيرٍ لك،

أن أود محادثتك طوال الوقت،

أن أغار عليك كثيراً

أهذا طبيعي!

أن أكتب عنك الآن؛ شيء غريبٌ
فأنا لا أكتب عن الأشخاص من حولي..

حسناً لماذا أنت؟!

لماذا أكرهك أحياناً حين لا تجيب على رسائلي بنفس اللحظة!

لماذا منذ ثلاثةٍ أيام وأنا مزاجية عصبية ولا أعلم السبب!

ألأنك مشغول عني..

ولكن لماذا!

أأنا ساذجة لأغضب من شخص حياته ليست لي!

من شخص لا أعني له أي شيء سوى صديقة لا أكثر.

لا يحق لي أن أشعر بكل هذه المشاعر المضطربة، أليس كذلك؟

أنت صديق..مجرد صديق فقط..

ولكن أود الأعتراف لنفسي بشيء أدركته لتو..

وهو أن يومي أصبح بدون صوتك وأحرفك كئيباً جداً..

رسالة إلى تلك

مرحبًا يا أنتِ..

ماذا تفعلين الآن!

أأنتِ سعيدة!

لا أعلم كيف ابدأ!

ولا بأي صفة أكتب لك!!

فأنا لا أعرف اسمك حتى، ولا أتذكر ملامحك..

في الحقيقةِ كنت أفكر قبل أسابيع أن أكتب لك رسالة؛

ولكني لم أستطع هذا..

شعرت بأني أُصبت بشلل الكتابة..

لماذا!

لست أعلم ربما لأني أردت الكتابة عنك..

على كلٍ ها أنا ذا أكتب لك الآن..

وقد وعدني أحد الملائكة بتوصيل رسالتي هذه إليك..

صحيح نسيت أن أعرفك على نفسي..

أنا «مروى» وقريباً سأبلغ عشرين ربيعًا قاحلًا.

تقابلنا منذ ثلاثة عشر عاماً أتذكرين!

أنا هي تلك الطفلة التي لم تتعدى الثامنة من عمرها حينها..

أنا تلك الطفلة التي عاملتيها بكل سوء وآذيتها..

رغم أن لا أحد منا يعرف الآخر. .

لا أحد يعلم مقدار الألم الذي سببته لي في ذلك اليوم!

لابد أنك تتذكرين،

فالموتى بالعادةِ لا ينسون مافعلوه في ساعات حياتهم الأخيرة!

حسناً لننسى هذا.. أخبريني!

أأخبرك الله بأن سبب موتك هو استجابته لدعوتي أنا!

دعوتي التي أماتتك وجعلت جزءًا من عمقي شاحبًا لمدى الحياة..

دعوتي التي دعوت فيها الله أن يرسل لك سيارة مسرعة تطيرك لسماء..

وها أنت الآن في السماء..

أكان يحبني أكثر منك ياترىحتى يستجيب لي!

أم أن هذا كان قدرك وأنا مجرد سبب لا أكثر!

الله يحبك لأنك بالجنة الآن!

أتعلمين!

تلك اللحظة التي رأيتك فيها تسقطين كورقة خريف يابسة

تسيل دمًا على ذلك الطريق؛ خُطفت الحياة من روحي..

مازلت أتذكر كل ما حدث

كنت تتنازعين أمامي أنت وصديقتك

ولا يفصلني عنكما سوى بضع أمتار..

يا إلهي لماذا استجبت لهذه الدعوة بالتحديد!

كيف لطفلة صغيرة أن تتحمل ذلك المنظر!

كيف لها أن ترى دعوتها الحاقدة تتحقق بهذا الشكل!

مازلت حتى الآن أعاني من تلك الصدمة..

لا أعلم إن كانت هذه الرسالة للاعتذار أو للعتاب..

لكنني آمنت بأن «دعوة المظلوم مستجابة»

كثيراً ما ألوم نفسي على ما حدث لك..

لكنني أقول ربما هذا أفضل لك يا أنت

ها أنت الآن تمرحين في الجنة

تحت رعاية أبونا إبراهيم عليه السلام..

فهنيئاً لك الجنة حقًا..

فقط أريد إخباركِ بأني سامحتكِ،

وبأني.. وبأني آسفةلجعلك تعانين..

لم أعلم بخبر وفاتك إلا بعد خمس سنوات
حين أخبرتني صديقتي عن حادث وقع قبل سنوات لطالبتان أمام

بوابة مدرستهما..

لم أستطع أن أخبرها بأنني السبب أو بأنني كنت شاهدة عيان..

لا أحد يعلم بما حدث معنا..

احتفظت بهذا الذنب طول طفولتي وحتى ضاقت به روحي..

والآن أنا أريد أن استريح..

أريد الاعتذار لعائلتك التي تبكيك اشتياقًا ووجعًا..

أريد أن أنساك وأنسي ذلك اليوم المحفور في ذاكرتي..

أن أخبركِ بأن صديقتكِ مازالت على قيد الحياة

لكنها تعاني من إعاقةٍ دائمةٍ..

أستحق الحياة أليس كذلك! فدعوتي الحاقدة قتلت روحين..

إحداهما فارقت الحياة ودفنت تحت التراب

وأخرى فارقتها الحياة وهي على قيد التنفس..

فهل من مغفرةٍ لي!

فقط سامحيني!

موت وجنون

طِفلي

كيف حالك؟!

هل أنت بخير!

هل أنت سعيد!

صدقني لولا وجودك لكنت أنهيت حياتي؛

لكني مازلت أتمسك بطيفك العابر الذي يريحني من كل هذا العذاب..

خمسة وعشرون عاماً قد مضت على يوم تعاستي بفراقك وفراق روحي عن جسدي..

من الصعب كثيراً العيش بلا روح..

مازلت أتشبث بملامحك الصغيرة التي رأيتك فيها حين أنجبتك..

خمسة وعشرون فراقاً لا أعلم عنك شيء..

طفلي..

الأيام هنا طويلة بطول السنين، وبعدك عني هو الجحيم بذاته..

مازلت أتذكر تلك اللحظة التي علمت فيها بأنك تسكن رحمي..

وبعد تسعةِ أشهرٍ سأحمل ملاكاً بين يدايّ..

كنت أسعد امرأة بالكون؛ كيف لا وأنت بذرتي الأولى..

لكن...ليس كل ما نحلم به يكون واقعًا..

لا أعلم مالذي تفكر فيه الآن عني؟!

أظنك تكرهني كثيراً؛ لأني تركتك،

ولهذا لا تريني وجهك حين تزورني..

نعم..

هذا صحيح!

لكنني كنت مجبرة صدقني..

أنت لا تعلم الحقيقة!

انتظرت كل هذه السنوات حتى أتمكن من كتابة هذه الرسالة

التي أخبرك فيها بالحقيقة التي لن يقولوها لك..

حقيقة أني ظلمتُ ظلماً أهتز له عرش الرحمن؛

حين اتهموني بجريمة لا علاقة لي بها

سوى أن القدر وضعني على عتبتها..

سُرقت حريتي، وحياتي وطفلي الرضيع من بين حضني..

أخذوك مني بالقوة؛

أتذكر كيف أني كنت أتوسل إليهم إلا يحرموني منك..

إلا أن محاولاتي باءت بالفشل والذل والضرب..

ولا أهل لي فأنا يتيمة مثلك يا طفلي..

إلى أين أخذوك!

أخبروني بأنهم سيضعونك في ميتم إلى أن تنتهي فترة عقوبتي..

لم أرد فراقك..

ولكني لم أرد أن تربى بين جدران السجن البائسة،

كل ما أردته لك هو الحرية، فهي شيء لا يقدر بثمن..

بني..

أحبك..أحبك إلى ما لا حدود..

صدقني!

أصبت بالجنون؛ حين قالوا بأنك مت تحت أكوام الثلج..

لا...لم أصدق، أعلم بأنهم يكذبون عليّ أنساك..

أغبياء هم حين فكروا بهذا..

كيف للأم أن تنسى جوهرتها التي لا ثمن لها!!

أتصدق بأنهم أروني قبراً صغيراً كحجمك لأصدق كذبتهم الحقيرة..

قلبي يشعر بك؛ أنت مازلت حي..

أراك ملاكاً تلاعب الغيم،

وتزورني مع كل قطرة مطر،

وتهمس لي مع كل نسمة هواء..

تأتيني بالمنام تراقبني وأنت تختبئ وراء شجر الصنوبر..

أشعر بك تجلس بجانبي الآن لكنك لا تريني وجهك

لماذا تبخل على أمك بضياء ثغرك الأغر!

أتعلم حين أخبرهم بأني أراك يسخرون مني..

ويقولون بأني مجنونة،

حتى أنهم وضعوني بمصحة للأمراض العقلية..

إن كان وجودك جنونا؛ فأنا أريد هذا الجنون..

أشعر بأن لقاءنا قريب..قريب جداً

فلتأتي إلي أرجوك؛

لتأخذني من هذا الجحيم البشري..

لقلب أبي

منذ أن اعتنقت الكتابة منهجًا ودينًا لا كفر فيه ولا إلحاد،

وأنا أحاول ترويض أبجدياتي لأخلق كتابًا مقدسًا عنكَ

أنتَ وحدكَ..

ياقرة عيني الخالدة،

ياحبي المقدس الأبدي..

هاأنذا للمرةِ المليون والألف أحاول إنجاب أحرف من رحم الأقحوان، من رحيق الياسمين، وزهر البنفسج ، من شعاع القمر، ومن تراتيل السماء ومطرها لأُكوّن جملًا أنتَ فيها ولا أحد غيرك..

وللآن لم أستطع هذا،

فأنت معجزتي التي لم تستطع حتى أسطري السماوية أن تحتويها..

لكنني سأحاول الآن؛ لأني أحتاج أن أكتبك..

فعذر قلة حيلتي، وعذر كلماتي الركيكة أمام عظيم شخصك ليس عذرا

أبي،

أحبكَ..

وأحبكَ لملايين السنين الضوئية..

أحبكَ في الحياة واللاحياة..

لم أكن ما أكونه اليوم لولا فضل الله عليكَ وحبه لكَ يا عبده الصالح..

لطالما كنت تقول لي بأني فرحتك الأولى، وبأني قطعة من روحك الطاهرة..

وبأنك كنت أصغر أخوانك ولا أطفال بعدك..

فأتيتك أنا بعد انتظار دام لأكثر من عشرين عامًا..

أتيتك فقط لأكون ابنتك أنت فقط وصغيرتك المدللة..

منذ أن أنجبتني أمي وأنا أحمد الله أنك أبي..

أبي الذي لم أرى في الكون شبيهًا له ولن أجد..

كيف لي أن أجد أبا يعتذر من ابنته لأنه صرخ بوجهها لخطأ ارتكبته هي في حين أنه من المفترض أن تعتذرهي منه!

أتذكر حينما كنت طفلة وأقسمت ذات يوم أن تجلدني أنا وأخي بالسلك لأننا كسرنا قاروة العسل البلدي التي اشتريتها لتوك قبيل شهر رمضان الكريم..

كنت تراقب خوفنا من مرآة السيارة وتضحك خفيةً منا، حين وصولنا للبيت اختبأت أنا وأخي، حينها كنت تصرخ بأنك ستنفذ ما أقسمت به. هيا لتلبسوا كل ملابسكم ولتأتوا لي بالسلك هكذا قلت وما أن قلتها حتى تراقصت قلوبنا فرحًا وضحكا..

رغم استنكار أمي من عقابك السخيف بالنسبة لها إلا أنك كنت تضربنا وشهقات ضحكاتنا تصل لعنان السماء..

فبالله عليك أين يمكن لي أن أجد قلبًا حنونًا كمثل قلبك أنت يا جنتي في الدنيا والآخرة.

أعلم بأنك تشعر بالذنب لما حدث بيننا قبل بضعة أيام، وبأن تلك الدموع التي قذفت بها عينايّ أمامك قد كسرت قلبك وجعلت روحك شاحبة الحياة..

فلأول مرة تراها ولأول مرة أنا أذرفها أمام أحد..

رغم أنك كنت تطالبني بالبكاء في صغري كي لا يصيبني مكروه ما بسبب كل ما أكتمه بداخلي..

في تلك اللحظة أدركت بأني لم أعد كما كنت أتحمل أي شيء وكل شيء..

لكنني قويٌة، قويٌة جداً بك فلا تقلق عليّ..

اعتذارك لي وقبلتك تلك أعادتا لي الحياة مرة أخرى.

أنت هكذا دائماً منذ طفولتي كنت إذا صرخت عليّ تراضيني بالذهاب إلى البقالة وتشتري لي كل ما أريده..

حين كتبت لي بأنك تتألم لأنك رأيت دموعي آلمتني كثيراً..

سامحني واغفر لي كل ذنب ارتكبته في حق أبوتك المقدسة..

فأنا لا أريد أن أكون سبب شقاءك وألمك يا أبي.

صدقني وثق بي أعلم بأنك تخاف عليّ كثيراً ممن حولي..

لكنني حريصة كثيراً عليك أيضاً وعلى سعادتك وراحتك..

أكبر حلم لي هو أن أجعلك تفتخري بي أمام الناس وتقول نعم هذه ابنتي أنا..

أنت «أبي» ولهذا حياتي مشرقة بك ومستقبلي ستفتخر به لأنه إنجازك العظيم الذي لا لأحد فضل فيه غير الله ثم أنت..

أبي، لك الحب حتى ترضى ولك الحب إذا رضيت ولك الحب بعد الرضا..

محبتي وصلواتي وكل دعواتي تغمرك لآبد الآبدين..

ابنتك المحبة لك

ريري

لعيني صغيري

ملاكِي الصغير، ونبضات قلبي الأزلية. .

قبلاتي تغمرك من رأسك حتى أصابع قدميك..

بهذه اللحظةِ الكئيبةِ جسدكَ العنبري الصغير ينام فوق صدري

بعد أن أغرقت دموعكَ كل شيء بداخلي..

وأحرقت ما يسكن بيساري؛

حين أتيتني وأنت تشهق تكاد لا تتنفس؛

لترتمي بحضن شقيقتكَ الكبرى

التي لا تمر لحظةً إلا وهي تصارعكَ، تعاندكَ،

وكثيراً ما تصرخ بوجهك، ثم تغرقكَ قبلاً..

حينها شعرت بحممٍ بركانيةٍ تفجر عروقي، احتضنتكَ بكل ما ملكته من قوة، وذهبت أبحث عن من أبكاك، لكني لم أجده..

عدت وأنا أجرُّانكساري ودموع قهري تتساقط بلا توقف بالرغم من أنني"صاحبة الدموع المتجمدة"التي لا دموع لها أساسًا.

أتحمل كل شيء..إلا دموعكَ يا صغيري

«لا تبكِ يا صغيري..لا

انظر نحو السماء»

لطالما كنت أغنيها لك كل ما رأيت دموعك الغالية..

صحيحٌ بأني أبكيك كثيراً؛ لكنني أحبكَ حب لا حدود له، أخاف عليكَ من كل شيء، وأجن إن أصابكَ مكروه..

مستعدةٌ لأدفن كل من يؤذيكَ حتى وإن كان أصغر منك عمرًا. .

دائمًا ما أقع بالمشاكل بسبب جنوني هذا..

_أأنتِ مجنونة أستضربين طفلاً لأنه أبكى أخاك؟!

_وسأدفنه أيضًا

حقًا، حقًا لا أستطيع التحكم بردة فعلي،

عقلي يختفي..أصاب بالجنون حقًا..

لهذا أصبحت قبل أن أدخل لأي مكانٍ أهدد الأطفال أن من سيبكيكَ أنتَ وشقيقاتكَ سأدفنه فوراً..

ذات مرة لا أعلم ما الذي حدث، كنت سأرمى الشاي الساخن على طفلةٍ لم تبلغ العام فقط لأنها أبكتك..

حتى أني قضيت أسبوع أدعو عليها، ولصغر سنها خففت من دعائي ودعوت لها بالمغص والإسهال فقط..

كما قال شكيسبير: «الحب جنون» وأنا يا صغيري مجنونةٌ بك.

صغيري..

سأعترف لك بأنك أنت وإخوتك نقطة ضعفي الوحيدة..

مازلتم أطفالًا لتواجهوا بشاعة هذا العالم القاسي..

لكم أتمنى أن أسكنكم فسيح عمقي الياسميني لتزهروا فيه يا

أجمل زهوري..

لكن لا تخشوا من شيء يا صغاري، صحيح أني لست تلك الأخت المثالية إلا أني حارستكم وحصنكم المنيع، وأخشي عليكم من كل شيء صغيراً كان أو كبير..

مازلت للآن أشعر بالغضب من غريمك لساني لم ينتهِ من الدعاء عليه..

الآن أنت تبلغ من العمر عامان وبضع زهور..

سأحتفظ بهذه الرسالة لك لحين تكبر لتعرف أني أحبك رغم كل شيء ورغم مصارعاتنا..

أحبكَ إلى الأبد

شقيقتك الكبرى»أوى»

أرجوك

أبي..

كيف حالك!

لست أدري..

أأُقرؤك السلام أم أكتفي فقط بانتظارك!

أريد الكتابة لك عما أشعر به الآن من اتفاقك مع والدتي

الذي سيدمر طفولتي وكل عالمي..

مازلت صغيرةً جدًا لأحارب وجعي، وأمسك قلمًا أكتب لك فيه كل ما يضج في عمقي الزهري الذي أصبح ذابلًا شاحبًا غير قابل للحياة..

فقط عامٌ ونصف هو عمري لازلت لا أجيد الكلام حتى..

ولكنني أحتاج كثيراً لأعرف ما سأشعر به حينما أكبر بدونك..

لهذا سأدع صديقتي البعيدة «مروى» تكتب بدلاً مني

رغم أننا لم نتقابل إلا أنها تشعر بي كثيراً..

هي الآن تكتب وفي قلبها وجعٌ لا حدود له

فاضت عيناها ببعضه تبكي وكأنها أنا..

سأتخطى أعوامي الأولى ولست يا أبي في قاموس أبجدياتي الأولى..

سأعيش طفلةً لا تعلم أين والدها ولا حتى تتذكر ملامحه!

اسمك فقط هو كل ما أعرفه، ينادى به لي ولا أشعر بك..

سأكبر دون أن أتذوق حلوى من يديك..

ماذا سأفعل حينما أحتاجك!

ستكون شبه حاضرٍ في حياتي الكئيبة..

بسبب من سأعاني كل هذا!

أنت أم أمي!

أعلم جيدًا بأنك تحبني كثيراً،

لكن وجودك بقربي شيء مهم

بل هو محور كوني الصغير..

هذا الكون يا أبي ليس ملائمًا لطفلة مثلي لا أب بجانبها..

إنه بشع ومظلم وأنا أخاف الظلام..

لا تسكنني الظلام ببعدك عني أرجوك..

أرجوك لا تتركني بسبب تصرفات أمي فلا ذنب لي..

ابق معي...

طلب صداقة

عَزِيزَتِي رَزَانَ..

هذهِ ثالث ورقةٍ أحاول الكتابة عليها إليكِ.

لكنني لا أجد ما أكتبه!

ها قد مرت أيام منذ أن رحلتي عن دنيانا لأن الله قد اصطفاك ملاك رحمته ومن سكان جنانه الخالدة..

قبل ساعات أرسلت لك طلب صداقة في حسابك لكنك لم تقبليه للآن..

ولهذا قررت أن أكتب لك هذه الرسالة أعرض عليك فيها صداقتي..

وموقنةً حد الإيمان بقبولك لها..

وهذا شرف كبير لي.

أنا مروى قالوا لي هذا!

لم أعترض فليس لي حق باختيار اسمي ولا حتى بطريقة موتي..

ولست أعلم لماذا أبي يقول لي بأن لا أكتب اسمي ولا معلوماتي الشخصية في رسائلي هذه!

قريبًا جدًا هو عيد مولدي الخريفي العشرون..

وبما أننا صديقتان لا تنسي هديتي أرجوك..

أريد شيئًا منك أحتفظ به إلى أن ألقاك..

مثلاً خصلةُ شعرٍ من شعرك أو قلادة ..

أو حتى تلك الرصاصة التي أرقتك شهيدة..

شيئًا تغلفيه بغيوم السماء وتعطريه بمسك الجنان

وترسليه لي مع أحد الملائكة..

فلا بد أن جميعهم يحبونك كثيراً أليس كذلك!

كيف لا وأنت هي شهيدة العودة وفارسة فلسطين..

أتعلمين!

بت أشعر بالغيرة منهم كثيراً..

ليتني أراك

ربما كان قدري أن لا أعرفك إلا وأنت شهيدة من سكان الجنان..

أيضًا رأيت والدتك الصابرة تقول بأنك تحبين الورد..

ووالدك فخور بك، وشقيقتك تقول بأنها ستثأر لك وستكمل مسيرتك،

وأما الصغرى قالت بأنك جميلة جدًا وأنت شهيدة..

ليتني كنت مكانك فأنا كبرت أشتهي نضالًا كنضالك أنت ومن مثلك..

أحسدك كثيراً على حياتك هذه ومماتك..

أحسدك لأني أردت وحلمت بما عشتيه أنت ومتت لأجله..

أحسدك لصغر سنك ولكبر قضيتك التي جميعنا نؤمن بها حد الموت لأجلها..

أحسدك على القدر الذي كتبه الله لك..

أحسدك على الجنان التي وُعِدتِ بها وتنعمين فيها..

وإِني على دربك لسائرة.. أعدك بهذا

أعدك بأن أكون كأنتِ ياصديقتي..

سأتحلى بالقوةِ بالعزيمةِ والإصرار..

وسأكمل رسالتك التي هي رسالتي أيضًا...

سأكتب لك الكثير أعدك بهذا ولن أنساك أبداً

سأنتظر بشوق رسالتي القادمة لك..

مليون قبلة قدسية على جبينك الطاهر..

كل محبتي ودعواتي تغمرك وتغرقك حد الحياة..

رزانية العودة

صديقتي رزان..

السلام عليك يا شهيدة العودة

يا ملاك الرحمةالسلام عليك

ونعيم السماء وجنة الخلد لك..

السلام لأرضك المقدسة ولشعبك الطاهر المبارك..

السلام لمن ربياك صغيرةً تزين وجهها بتراب غزة الندية..

السلام لكل روح بكتك دموعًا فنبتي في أعماقها وردًا كأنتِ يا وردة العودة..

أما بعد:

«بالرَغْم ممَّنْ حاصروا عينيْكِ..

وأحْرَقُوا الخُضْرَةَ والأشجَارْ

أقولُ: لا غالبَ إلا الوردُ..

يا حبيبتي.

والماءُ، والأزْهارْ.

برَغْم كُلِّ الجَدْب في أرواحِنا

ونَدْرَة الغُيُومِ والأمطارْ

ورغْمِ كُلِّ الليل في أحداقنا

لا بُدَّ أن ينتصرَ النهارْ» (نزار قباني)

..لا بد وأنكَ تحبينه

كيف لا وأنتم تتشاركان حروف اسميكما!

ن ز ا ر..نزار

ر ز ا ن..رزان

تتشابهان كثيراً بحياتكما وموتكما حتى من وجهة نظري..

فقد عشتما تناضلان باسم الوطن والحرية وحتى الحب..

مات هو على مشنقةٍ قصيدةٍ خذلته، وأنت برصاص محتل غاشم..

ها قد مر على يوم نعيمك في الجنة أسبوع..

ومازالت الأرواح في الأرض حتى اللحظة تبكيك وتشتاق لك..

من قتلك يظن بأنه قتلك لكننا ندرك تماماً بأنك حية في جنان الخلد..

حية لأن قلوبنا مازالت تنبض بك..

يقال بأني فتاة متحجرة القلب لا مشاعر لها ولا دموع..

ولكنني روح لي قلب ينبض بمن هم مثلك..

لا أسرف بمشاعري ولا دموعي إلا لمن مثلك أنت..

استشهادك أثّر بي كغيري لكن وقعه كان في روحي أبلغ وأعمق..

تمنيت احتضانك وتقبيل جبينك الياسميني..

تمنيت أن أهمس لك بأني فخورة بك وأحبك..

تمنيت لو أنني مكانك أموت لأجل قضية مقدسة كقضيتك..

لأن هذا حلم طفولتي يا صديقتي..

صدقيني..

بينما كان الأطفال يحلمون بالألعاب والشوكولاته كنت أنا أحلم بتحرير الأقصى..

وطنك هو وطني الأول عرفته قبل أن أعرف وطني حتى..

أول الأشياء التي استوعبتها طفولتي، وخزنتها ذاكرتي؛

هي أحداث الإنتفاضة الثانية ومحمد الدر..

بداية آفاقي وإدراكي هي القضية الفلسطينية..

وأول قصيدة أعرفها كانت «أطفال الحجارة» لنزار قباني..

كان ابي يقرؤها لي..

ليتني أنت يا رزان..

فحياتك أنت ومماتك كانا حلم طفولتي أنا..

لطالما أردت أن أكون فلسطينية من «أطفال الحجارة»..

لطالما خططت ورسمت استراتيجيات لتحرير القدس..

لطالما تخيلت نفسي اعالج المصابيين.

لطالما اشتهيت تلك الرصاصة التي اخترقت قلبك..

إلهي..

أي قدر كتبته لها وليس لي..

لا بأس فأنا سأكون مثلك وسأصنع قدري كيفما شاء الله..

والآن إلى اللقاء يا صديقتي فقد حان موعد أذان المغرب..

السلام عليك يوم ولدتي ويوم استشهادك ويوم تبعثين حية..

الفصل الثالث

(ربما تكون قصص)

بين حُب وحرب خُلقت ُأنا..

طفولة تحت الأنقاض

بدأ كل شيء يتغير من حوُلِي الآن..

المكان..والأصوات،كلهاأصبحت فوضى غريبة حدثت فجأة

ولاأدري أين أنا من بين كل هذه الفوضي!

أسمع أصوات صرخاتَ يبدو بأنها مخنوقة، صرخات غضب،وقهر..

أنا لا أفهم شيء!

أين أنا الآن؟!

ولما كل هذه الظلمة؟

أشعر بأن لاأكسجين يصل لصدري،

هناك شيء يجثو عليّ، يا إلهي مالذي يحدث؟

المكان هنا ضيق لاأستطيع التحرك!

ماذا أفعل لا أستطيع حتى الصراخ

كل ما أستطيع فعله هو الاستماع لتلك الأصوات..

أصوات تقول:

هنا يوجد طفل تحت هذه الصخرة،

وهناك امرأة تحتضن رضيعها وقد رحلت أنفاسها

ولم يبقَ سوى صوت بكاء رضيعها..

سيارات إسعاف،نعم هذا صوتٌ بت أعرفه كثيراً فقد أصبحنا نسمع صوتها أكثر من صوت الآذان وقطرات المطر..

يا إلهي هل أنا...؟

لا لن أبكي،لن أخاف..ليس هناك داعي للبكاء

لماذا سأبكي؟

ألأن تحت أنقاض مدرستي ولاأحد يعرف مكاني!

أمل أني أعلم جيداً أني لن أخرج من هنا على ما يرام،

فربما أموت مثل صديقي أحمد أو مثل معلمي،

أو مثل الكثيرين ممن أعرفهم،

البعض مات تحت الأنقاض،والبعض قتلتهم رصاص عدو غاشم لايعرف لغةً غير لغة الموت، وآخرين سرقت أرواحهم بفعل الألغام التي زُرعت تحت الأرض بدلاً من الفل و الريحان..

هكذا الموت في وطني..

إن كنت محظوظاً ونجوت من الموت فلن تنجو من بتر أطراف جسدك الضعيف المثقل بويلات الحروب..

الآن لو نجوت أنا..

فقد أعاني من إصابات خطيرة ربما تدخلني في غيبوبة طويلة

وحين أستفيق سأجد نفسي مبتور الأطراف أو فاقداً لقدرتي على التحرك، وربما أفقد أحد حواسي أو ربما أموت بسبب نقص الأكسجين والأدوية كما حدث للكثيرين..

****

اشتقت لأبي كثيراً..

لقد كان رجلاً حنونًا وقويًا،

كان بطلي،يخاف علينا، يحمينا، ويعطينا كل مانريده.

كنا عائلة سعيدة نعيش في عالمنا الصغير في نور أبيض ساطع..

إلى أن أتت تلك الذئاب البشريةواغتالتنا في ظلمة كاحلة..

مزقت عالمنا، وحطمته، وسرقت كل ما لدينا..

لهذا ذهب أبي للجبهة، ليستعيد كلما أخذمنا..

مررت الليالي، الأيام، والأشهر وأنا أنتظر عودت أبي.

لكنه لم يعد و هو يحمل الحلوى مثلما عودنا دائماً بل عاد أبي وهو يلبس الأبيض، عاد و هو يبتسم ابتسامة لا مثيل لها، ابتسامة لم أعرف معناها الحقيقي إلا بعد أيام

و حتى أحمد صديق طفولتي؛

كانت الدماء تغطيه بالكامل،

كان على الأرض مستلقٍ لا يتحرك، لايتنفس

مات حين باغتته رصاص سفاح من أعلى الجبل..

رأيت أشلاء معلمي تتطاير أمامي حين كان يعبر أحد الطرق ليحضر لنا بعض الطباشير لنتعلم..

عاد إلينا جثة هامدة بيده طباشير أصبح لونها أحمربدلًا من الأبيض..

والآن أنا أيضاً سأموت تحت الأنقاض..

لاأريد، ولكن لم يعد باستطاعتي أن أرى الدماء والأشلاء أمامي مرة أخرى..

لا خيار أمامي..

أصبح الموت هو قدر و مصير كل من يعيش في وطني..

لهذا سأرحل، سأترك جسدي الصغير تحت هذه الأنقاض ليكون شاهدا على من قتلني...

هكذا هي الحروب تلعببنا مثلما أرادت ونحن لا يسعنا سوى الجري وراء عجلات زمن قد ظلم وظُلمنا به..

مدينة يتلبسها البؤس

في أحد شوراع الضياع..

في مدينة حاصرتها أشباح الظلام.

أحاطوها بأسوار من الحقد وطين الكراهية ..

جعلو امن رونقها قبوراً لأبنائها

محترقةً إثر دخان الأسى الداكن

سماؤه اليست كباقي السماوات

لونها أزرق،

تبزغ نوراً و تنبثق فيها شمس

بل تحولت سماءها إلى باكية ثكلى

تبكي فلذاتها عند كل روح تزهق

وهواءها ملوث بأنفاس الذئاب

تلهث حين تتعطش للدم

وبقايا ماء أصبح لونه مغبر

بعد أن اختلط به العابها

مدينة اجتاحتها الأوجاع من كل ركن وزاوية

مشيت وقلبي يرتجف حائرًا مترددًا

في كل خطوة كنت أرى الحزن من منبعه

وكل حائط يرسم تفاصيل حكاية مأساته الخاصة

لإنسانية منكوبة...

في مساء تلك الليلة الشاتية

وتحت زخات مطرٍ قد تغيرت نكهته

وصوت رعد يصخب به المكان الموحش

وضوء البرق يكاد يخطف الأبصار

حاولت أن أسيطر على ما بقي من هدوئي بعد كل ما رأيته

لكني لم أستطع الصمود أمام تلك الأشلاء المتعفنة

في بركة من الدما لمختلط بأنين المكان

زاغ بصر يعلى شيء بالقرب من بقايا منزل

اقتربت منه و الفضول يتملكني لأعرف ما هو!

فإذا به طفلٌ صغيرٌ لم يتعدَ العاشرة من عمره

يجلس وحيداً بين ظلام اليأس والأنين

وفي جفونة قصة بؤس لا ينتهي...

نظرت إليه وبصدر يبرك ان يثور أسىً..

لم أملك الشجاعة لأقترب منه، أحتضنه و أخبره بأن كل شي بخير

كيف أكذب عليه؟! وأخبره بذلك؟ هل سيصدقني؟

هل سيثقبي وهو يرى كل شيء مدمر و محروق؟

كيف سيصدقني و قد طمست من ملامح وجهه الطفولة و عينيه غدت بئراً لدموع قد لا تجف..

كيف وهو يرتدي معطفاً أبلته الأحزان ومزقته ألاوجاع..

طفل بلا أم تسقيه من حنان صدرها

ولا أب يحميه من برد الشتاء

ولا أخوة يلعبون معه

ولا بيت يسكنه

ولا رداء يدفئه

ولا طعام يسكت به صوت الجوع

ولا قطرة ماء يسقى بها ظمأ جسده الصغير..

أصبح يتيماً من كل شيء

لقد جردته تلك الأشباح من الحياة

وجعلته ميتاً على قيد الحياة..

حلم يتيم

يفترضُ بي أن أكون قد أتممتُ المرحلة الأبتدائية؛

إلاأنني ههنا أبيع البطاطا اللذيذة للطلاب الخارجين من مدرستهم،

التي كانت مدرستي فيما مضى، إلا أني أُجبرتُ على تركها؛

لا، لا لم أطرد أو أفصل منها لأني مشاغب أو بليد

قد كنت من أنجب طلابها، كنت طالب مجتهداً و أحب طلب العلم..

لكن ظروفي أجبرتني على التخلي عن طلب العلم لأجل طلب الرزق

فموت والدي كسر ظهرى أنا وأمي و شقيقتاي الصغيرتان...

وجعلنا تائهين نتخبط هنا و هناك..

مات حين كنت في الثامنةِ من عمري، أي حين كنت بالصف الثالث،

كنا قد انتهينا من الاختبارات النهائية و ذهبت لأتي بشهادتي

كانت علاماتي كاملة و كنت الأول على الصف،

كنت أركض بأقصى سرعة لأُري والدي فهو من كان يذاكر لي رغم أنه لما ينهي الاعدادية

لظروف عائلته المادية إلا أنه ذكي حقاً أردتُ أن أُريه بأن تعبه وسهره معي لم يضع

كما أنه وعدني بأن يشتري لي سيارة حمراء كنت قد رأيتها من قبل ولم يكن لدينا الما

لوقته الشراءها فنحن عائله محدودة الدخل...

حين وصلت للمنزل كانت أمي تبكي بحرقة لم أراها من قبل هكذا وشقيقتاي بداتا بالبكاء أيضاً..

أمي ماذا حدث؟ ولما هذه الدموع؟ أتظنين بأني فشلت؟

انظري أنا الاول يا أمي، أين أبي سيفرح كثيراً؟

كان بكاؤها يزيد كلما ذكرت أبي..

هل أغضبكِ أبي؟

لا تقلقي أنا سأجعله ُيعتذر لك؛

أين هو الآن؟

أمي لماذا أنتِ صامتة؟

أين أبي الآن؟

بينما كنت أسألها عن والدي سمعت أصوات لاتصدر بهذه الشكل إلاحين موت أحد، كان الأصوات تقترب أكثر فأكثر...

دُق باب منزلنا والأصوات أصبحت قريبة هناك تقف وراء هذا الباب..

كنت ذكياً بما فيه الكفاية لأربط الأحداث ببعضها؛

بكاء أمي بحرقة وهذه الأصوات الجنائزية..

وفتحت الباب وأول ماوقعت عيناي الصغيرتان عليه هو تابوت خشبي و بداخله شيء طويل كطول أبي، له نفس العرض أيضاً ،ملفوف بكفن أبيض وبضع أشخاص تعرفت لبعضهم فقالوا عظم الله أجرك..

نظرت إلى أمي وقد أصبحت تصرخُ وتضرب نفسها

ثم لهذا الشيءأمامي... أهذاأبي؟!

اللهم ارحمه واجعل مثواه الجنة

شددت قضبتي على ما كنت سعيداً به قبل دقائق

نظرت إلى شهادتي بحسرة، ثم إلى أبي الجثة الهامدة التي ستدفن

تحت التراب بعض ساعات..

ثم إلى أمي المنهارة وشقيقتاي اللتان لا تعلمان أنهما أصبحتا من اليوم يتيمتان وحتى أنا أصبحتُ يتيماً..

انفجرت تلك اللحظة بعد أن استوعبت ماحدث ورميت بنفسي على أبي لأحتضنه وأتمنى لو أخترق جسده وأسكن بداخله لندفن سويًا..

وهكذا أصبحت ُرجلا لبيت والمسوؤل عنه رغم صغر سني إلا أن والدتي كانت تعتمد علي بكل شيء وكأنها ترى بي أبي...

تركت المدرسة رغم معارضة أمي لي، إلا أن الحال الذي كنا نعيشه جعلها تقتنع بفكرة تركي للمدرسة...

أمي كانت تعمل من قبل بالخياطة لكن أبي منعها من العمل قائلاً لها:

أنا زوجك وهم أبنائي وسأطعمكم من تعبي أنا

لاأريدكِ أن تتعبي بالعمل وتهملي أطفالنا، فهم أغلى ما نملك..

ألم تدرك أنت أيضاً ياأبي بأنك أغلى ما نملكه؟

والآن كونك رحلت يا أبي، أمي عادت للعمل في الخياطة، فإطعامنا للبقاء على قيد الحياة أهم من الاهتمام..

وأنا أيضاً بحثت عن عمل، وعملت بأكثر من مكان..

أولاً: عملت لدى أحد أقاربنا، إلاأن زوجته غضبت علي وطردتني، تلك السمينة البغيظة..

ثم عملت في بيع المناديل عند إشارات المرور، وكنت أيضاً أغسل السيارات وأعمل بعد العصر فوق الباص

وفي مواسم الزراعة كنت أعمل بمزرعة أبو محمد

إنه طيب، يعطني أجري والكثير مما يوجد بمزرعته

وكانت عائلتنا تسعد كثيراً...

والآن هاأنا أبيع لزملائي القدماء البطاطا

أبي، اشتقت لك كثيراً..

لو لم تخرج ذلك اليوم للعمل وبقيت في المنزل لما تعرضت لذلك الحادث ولم امت، ولما أصبح هذا حالنا

كنت سأكون الآن في المدرسة أتعلم لحين أكبر و أكون طبيباً يُداوي لك جروحك..

كنت سأسكنك بيتاً كبير أنت وأمي وشقيقتاي وأنا كما كنا نحلم دوماً..

كنا سنعيش معاً تحت سقفٍ واحد سعداء و مرتاحين.

ولكنك مت؛ وأحلامنا ماتت معك...

هذا اليوم لم يكن جيداً..

في الواقع كل واقعي ليس جيداً..

اليوم شعرت بأني فتاةٌ لا قيمة لها في الحياة..

كنت عائدةً من المكتبة فقد كنت أبحث عن بعض الكتب لأقرأها، فكما تعلمون أنا من عشاق القراءة..

تأخرت كثيراً في المكتبه، ولهذا سلكتُ طريقاً آخر...

طريق عودتي كان مريباً، فلا أثر لناس هنا..

الهدوء يحوم بالمكان وهذا سبب لي رعشة خفيفه حقيقةً شعرت

بالقليل من الخوف فلم يبق سوى دقائق قليله ليعم الظلام ..

وليس هنالك مصابيح أمشى على أثرها..

المكان غريب ٌحقاً لا ضوء يكفى لأرى بوضوح

إلاأن المكان كحيلٌ بالسواد وكأن لا حياة تدبُّ بهذا المكان

لا طير ولا أناس تسكنه..

توقفت فجأة خطواتِي وتسارعت على عكسها نبضاتي حين سمعت صراخ أحدهم..

بكاء طفلٍ..

وأنينًا ربما يكون لرجلٍ عجوز..

أفزعتني هذه الأصوات لدرجة أني أوقعت الكتب التي كنت أحملها..

كنت سأركض بعيداً تاركةً كل شيء

فهذا المكان لم يريحنى منذ أن خطوت أول خطواتِي على طُرقه...

ولأني تذكرت أيضاً الأحداث الأخيرة التى مرت بها البلاد من قتل أَو أختطاف...

تعالت الصرخات وتعالت معها أنفاسى

تركت كل شيء فعلاً و ركضت الي المجهول

كنت أركض بلاحدود إلى أي مكان تختفى به هذه الأصوات المرعبة، كانت تمشي خلفي بل وتركض مثلي..

فزعت كثيراً لهذا الذي يحدث معي..

خشيت أن ألتفت إلى الوراء،

تخيلت بأن يداً ستسحبنى للقاع وتغرقني فى العتمة

ولن أستطيع الأفلات منها..

ركضت وركضت وركضت والصرخات تركض وراء أذناي

وكلما كنت أبتعد كان صوتها يخفتي عن مسامعي..

توقفت قليلاً لأعيد لجسدي بعض قوته ولألتقط بعض ذرات الأكسجين لتنعش أعضائي قليلاً..

التفتُ للخلف لأرى ما الذي يحدث..

وصُدمت كثيراً، فأنا لا أرى شيئًا

وارتحت قليلاً فلا يوجد خلفي شيء

وهذا ما أريده .. ولكن ...

-أأنا أتخيل!!

-ربما و ربما تكوني قد جُننتِ

-أأنا مجنونة ؟

لا.

ما الذي تقولينه؟

أنا متأكدة مما كنت أسمعه.

لقد كانت صرخات مدوية وكأنها تستغيث، وكأنها تطلب الرحمة، وتطلب المساعدة..

- إن كان هذا حقيقيٌ لماذا هربتِ؟ لماذا لم تتبعي تلك الأصوات؟

ربما وجدتِ من يحتاج إليك.

-ما لذي فعلته؟ كيف هربت هكذا! كيف لي أن أفعل هذا؟

جثوت على الأرض وأعطيت الإذن لدموعي بالانهمار.

(صوتها أوقف سيل دموعي وأنقدني من حديثٍ قاسي مع نفسي)

-أأنتي بخير يا بُنيتي؟

(نظرت إليها وكأني لأول مرة أرى بها عجوزاً تحكي لي تقسيمات وجهها وتجاعيدها عن معاناة و صبر سنين)

نظرت لي بنظرة خوف وتابعت:

-أتحتاجين للمساعدة؟ هل أضعتِ طريقك!!

-أنا .. لا .. هو يحتاج للمساعدة.

(وأشرت بيدي لمكان الصرخات وسيل دموعي عاد للجريان)

حينها تغيرت ملامحها القلقة إلى ملامح الخوف والرعب توقف نظرها لذاك المكان لدقائق طويلةً كانت وكأنها تتذكر شيئًا، كنت أريد مقاطعةٌ نظرتها لأ نظر أنا لعينيها لأرى ما أخافها..

قلت لها بصوتٍ تملأه الحيرة..

-إلى ماذا تنظرين؟

لم تجبني فوراً ربما استغرقت الكلمات وقتاً لتصل لطبلةِ أذنها..

أعادت نظرها إلي وقالت بصوتٍ يملاءه الحزن:

-قبل أكثر من ثلاثين عاماً حُرق هذا المكان بفعل الحروب ومات كل من كان نائماً بمنزله ولم ينجو أحد..

-ماذا؟!

ارتعشت كل خلايا جسدي من هذا الخبر، أكملت حديثها وهي تنظر لعيناي:

-أصبح هذا المكان مهجوراً منذ تلك الكارثة ولم يسكنه أحد.

قاطعتها:

-ولكن تلك الأصوات التي سمعت...

قاطعتني قائلة:

-تلك أرواح السكان الذين احترقت أجسادهم و ظلت الأرواح تطلب المساعدة و تستغيث...

يا إلهي، لا أصدق هذا أشعر وكأن الأرض تدور حولي وأنا واقفة هنا و لا أشعر بشيء،

أكنت قبل قليل أمشي على طرقات مكانٍ منكوب محروق و مظلوم من قبل تلك الحرب التي اشتعلت نيرانها من أكثر من ثلاثين عاما،ً فأحرقت الأخضر و اليابس، الحي و الميت، المذنب والبريء، الكبيرو الصغير.

أهذا يعني بأني كنت محاطة بتلك الأرواح التي أُحرقت أجسادها منذ زمن و بلا أي ذنب؟ وكانت تستغيثبي و تطلب مساعدتي! وأنا ماذا فعلت؟

ارتبكت ُوخفت و ركضت

لأهرب منها لأنجو بنفسي.

خذلتها أنا أيضاً،

ظلمتها أنا أيضاً،

وأحرقتها للمرةٍ الثانية.

كابوس حلم

الحرب أجهضت كل أحلامه، آماله، وأمنياته.

وجعلت من حياته جرحاً نازفاً لايرجو شفاءً..

أكثر من أربع سنوات مرت عليه، وهو لاشيء سوى أكوام حطام جمعتها رياح الأسى في إحدى زوايا الوطن..

ذلك الوطن الذي كان واسعاً فسيحاً يكفي لجميعُهم، أصبح اليوم مجرد مساحةٍ ضيقةٍ لا تكفي سوى للحروب، وللجثث المتعفنة..

لا يكفي إلا لبعثرات الرصاص، وانفجارات القنابل..

يكفي فقط لا قتلاع الأحلام، واغتصاب الأنفس..

استيقظ باكراً رغم أنه أنهى صراعاته مع كوابيس الظلام في وقت متأخر..

استيقظ هكذا دون أن يسمع صوت انفجارات، ولا صوت صرخاتٍ أطلقتها بضع رصاصات قاتلة..

استيقظ لأول مرةٍ منذ أن وقعت الحرب دون فزع، دون خوف، لاشيء يسمعه ُسوى صوت ضحكات الصغار، وزغردات فرحٍ من ثغرات النساء، وأيضاً يسمع تكبيرات وتهليلات الرجال،

أتت إليه ابنة أخيه وهي تجري بسعادةٍ بعد أن كانت لاتبرح من حضن جدتها خوفاً من ضجيج الظلام، بعدأن فقدت والديها إثر انفجار أحد الألغام المزروعة بدلاً من البن وزهر البنفسج..

قالت وهي تلتقط بعضأ نفاسها:

- تعال..هيا لقد انتهت الحرب، أخيراً لا موت، لاخوف، و لا رعب سأعود لمدرستي، و ألعب مع أصدقائي، وسأكبر، وأُصبح طبيبة.

كانت تتكلم بسرعة كبيرة حتى أنه لم يستوعب أي شيء مما قالته وهي مازالت تثرثر عن أشياء ستفعلها حين تكبر كأن تتزوج،وتُنجب أطفالاً..

حسناً...هو لا يفهم شيئاً، كل هذه الأشياء الآن مشتتة في رأسه.

تلك الضجة الغريبة، وثرثرةِ هذه الطفلة و هي تسحبهُ إلى الخارج..

هو لا يعلم، استغرب من حاله و بدهشةٍ غريبة يقرص نفسه..

أأنا في حلم؟

ما الذي يحدث؟

وما الذي أسمعه وأراه؟

أمي ما الذي يحدث؟

يسألها وعيناه تكاد تدمع..

أمه تبتسم له ابتسامة لم يعهدها من ثغرِها من قبل، تحتضنهو بقوةٍ تبكي وهي تقول:

- ليتهم كانوا هنا ليحتفلوا معنا بانتهاء هذه اللعنة من على أرضنا، ليعيشوا نشوة الانتصار، فقد عادت الأرض بيتنا، والسماء سقفنا، والتراب لحافنا، عادت حياتنا و أحلامنا لنا، كل شيء سُرق قد عاد

إلا أحبائنا لن يعودوا يا الله..

دموعها وصوت أنينه اكفاهُ ليفهم كل ما يجري..

-نعم أنا لا أحلم و هذهِ حقيقة، انتهت الحرب أخيراً

قالها وهو يبكي مثل أمهُ..

فقد سرقت هذه الحرب منه والده ، وأخاه الوحيد وزوجته، وأيضاً حبيبته التي كانت له كل الحياة.

«يا ليتهم كانوا معي الآن، أقسم أني لن أبرح أحضانهم و إنضاقوا»

هذا ما تمناه حينها.

ركعة شكرٍ لله ركعها بقلبٍ خاشعٍ ذليلٍ ممتنٍ لخالقه.

الحمدلله.

ظل يحمده ويشكره طويلاً حتى ظنت أمه ُبأنه توفي َمن الفرحة...

****

استيقظ بعد أن فقد وعيه لدقائق حين سقط فوق منزله صاروخ حرب، استيقظ من حلمه الجميل ليعود لكابوس واقعه.

عاد يجمع شتات روحه تحت أنقاض منزله، ويلهث وقد أُصيبب الجنون.

كان حلمًا، الحر بلا تنتهي..

الحياة تنتهي ولا وجود للفرح.

أين أمي و يسرا!

بحث هناك وهنا وصرخ ولا أحد يجيب ضرب نفسه حتى نزف جسده..

تعثر ووقع على دمية يسرا الملطخه بالدماء.

هنا بهذه اللحظة توقفت كل نبضاته، واختنقت كل أنفاسه، عين اعتذر فان

الدمع دون أن يشعر بها.

تغيرت ملامح وجهه وتهشمت أعضاءه، وللمرة الثانية يفقد وعيه.

ثم فتح عينيه ولم يرى سوى الدخان والظلام، نهض يصرخ، يبحث وينبش عن يسراحتى عثر عليها جثةً هامدة ،حملها وهو يضحك كالمجنون ثم جثا على قدميه، لتنتفض روحه من جسده ويسقط جسداً لا روح فيه كجسد يسرا حين رأى يد أمها لمخضبة بالحناء مبتوراً وبجانبها بضع بقايا من رأسها المهشم ودون جسد..

ضحية حرب

«ودّ لو يغيب عن وعيه..

ودّ لو ينسى كل شيء فما يشعر بشيء..

ثم يستيقظ بعد ذلك فيستأنف حياة جديدة»

وكأن دوستويفسكي بكلماتهِ هذهِ يكتبني، ويقصدني بها..

حسناً.. لطالما كان هذه ما أريده حقاً..

لا تتعجبوا؛ فلست مثلكم ولا كباقي الناس للأسف..

فحينما يسرق منك كل شيء كنت تملكه دون حتى أن تدركه..

حينها فقط ستكون مثلي ولا أتمنى حدوث هذا معك..

حسناً سأروي لكم حكايتي باختصار..

فحقاً أنا أحتاج لأُخبر أحداً عما بداخلي..

اجتاحت الحروب، والبؤس وطني.

خسرت عملي، ومصدر رزقي.

أنهكنى الفقر والذل، وعذبت من قبل من تسببوا بإشعال فتيل هذه الحروب،

صبرت ودعوت الله كثيراً؛ ثم بخمس دقائق خسرت منزلي، وعائلتي...

هذا ماظننته بالبداية ولكن رنين هاتفي برقم زوجتي أشعرني ببعض الراحة،

والحمدلله لم تكن بالبيت هي والأطفال فقد ذهبت لتبيع خاتم زواجنا لنأكل..

لم استطع أن أخبرها بأن صاروخاً لعيناً دمر منزلنا وكل ذكرياتنا، أخبرتها بأن

تذهب لبيت أهلها وسأراها هناك..

وصلت قبلها، انتظرت وانتظرت، ثم اتصلت بها ولم تجب،

فزاد قلقي عليهم كثيراً بعد أن علمت بأن هناك اشتباكات ساخنة بالمنطقة.

خرجت لأبحث عنهم زوجتي وطفلاي، بحثت كثيراً بمساعدة بعض الأهل والأصدقاء،

ثم أتاني اتصال من هاتفها،

ففرحت كثيراً ظنًا مني أنه كسابقه وستقول لي نحن بخير لا تقلق، ولكن...

-السلام عليكم، نحن من مستشفى تعز هل يمكنك القدوم؟

هذا ماسمعته، و لم أستوعب كثيراً. أغلق الخط وانغلقت معه كل دروب الأمل، فقدت السيطرة

على قلبي عيناي، وقدامي رغم تعبهما إلا أنهما كانتا تجريان بسرعةٍ لم أعهدها من قبل.

وصلت برفقة بعض الأصدقاء ولولاهم لربما تهت وضيعت طريقي، دخلت المستشفى

وأرضيته مليئة بالدماء، وصرخات الألم تملأ المكان، وأنين وجع الفراق ينبثق من بين الصدور.

كنتُ أُهرول كالمجنون أبحث عن عائلتي، بحثت وسألت عمن اتصل بي، توقفت فجأة وكأني أصبت بتخدير كامل لجسدي المنهك.

رأيت زوجتي الجميلة غارقة ببحر دمائها وبجانبها أطفالي أيضاً كلهم مغمضي الأعين لا يتحركون،

ذهبتُ إليهم...

- هيا لقد أتى بابا، هيا استيقظوا لنخرج للعب...

عزيزتي هيا سنذهب للمطعم اليوم وكل يوم، ولن أتعبك بالطبخ، أعدك.

سأطبخ أنا إن أردتِ ولكن افتحي عينيك...

مابكم لا تردون عليّ؟ قلت لكم استيقظوا هيااااااا...

ليتكم تدرون حقاً بما كنت أشعر به تلك اللحظة، لا أحد سيشعر بوجعي وبكل مايحمله

قلبي من ضجيج إلا من حدث له مثلي. لأول مرة أشعر بأن لا روح لي.

احتضنتهم وقبلتهم وكأنها أول مرة، لكنها آخر مرة كانت. صرخت وبكيتُ،

ثم دفنتهم تحت التراب بيدي، وهكذا خسرت كل شيء..

والحمدلله، لولا الله لكنت فقدت ما تبقى من عقلي أيضاً.

غنى

مرحباً..

أنا اسمي «غنى» طفلة لم تتجاوز العشرة أعوام، بشرية مثلكم،

لكني أتميز عنكم بالكثير من الأشياء؛ أولها بأني فقيرة ولست كأي فقير، أنا أفقر من الفقر نفسه؛ لكني غنية بعزة النفس والحمدلله..

عائلتي تتكون من خمسة أشخاص، والدي رغم أنه لم يتجاوز الأربعين إلا أنه أحدب الظهر فقد كانت الحياة ثقيلة عليه جداً، وهو لا يطلب الكثير من هذه الحياة، فقط يرسم ابتسامة رضىً حينما ينظر إلينا، ويخفي أنين دموعه بصمت حين نومه، ويحمد الله كثيراً على

كل نعمه لدينا.

أحياناً أثور غضباً وأقول: على أي نعم تحمده؟ فيحتضنني ثم يهمس لي: أنتم أكبر نعمة في حياتي تستحق الحمد والشكر..

كنت أظن بأن وجودنا في حياته لم يزده إلا تعبا، ومسوؤلية، وهمًّا فوق همه،

وأحياناً يراودني سؤال ماذا سيحدث لنا لو خطفه الموت منا؟!

لدي أخان صغيران، أحدهما يمتاز بإعاقة عقلية، أحياناً أحسده عليها؛

لأنه لا يعلم كم هذا العالم ضبابي اللون، ولا يوجد به سوى السواد القاتم، ولكنني كثيراً ما أبكيه وجعًا حين أراه يتألم، ولا دواء يخفف عنه. والحمد لله الآخر طبيعي مثلكم.

وكلنا لو نظرتم لنا لرأيتم منابع الجمال من بين أعيننا، صحيح

أننا فقراء ولكن الله أكرمنا بجمال الكون، ولو كان الله خيرني بين الجمال،

والمال لاخترت المال، فما نفع الجمال وهكذا حالنا.

أما أمي فقد توفيت عند وضعها لحملها الأخير بسبب المضاعفات

حيث أنها وضعته في العراء، فلا مكان لنا في مستشفياتكم.

نعيش في الطبيعية تحت خيمة صغيرة تملؤها الثقوب، تعدم فيها الفراغات،

تحتضننا جميعنا بلا مسافات تفرقنا.

وعلى مرأى من عيون السماء بعيداً عن ضجيج مدنكم نعيش، نلتحف السحب ليلاً،

ونستظل من أشعة الشمس تحت أوراق الشجر البري صيفاً، أما الشتاء فهو أقسى أيامنا،

أحياناً نشعر بأن البرد القارس يلتهمنا بنظراته الصاقعة، وأنيابه شديدة البرودة.

نتدفأ بقطع الكرتون، وأحياناً بأقمشة بالية، ولا شيء يدفئنا بعمق سوى الدفء المنبعث من قلوبنا الطاهرة،

وربما ملائكة يرسلها الله لنا.

نأكل من خيرات الأرض وجبة واحدة خفيفة تكفينا فنحن نهتم برشاقة أجسادنا،

ونصوم كثيراً أكثر مما تصومون أنتم.

ألم أقول لكم بأننا نمتاز عنكم بأشياء كثيرة؛ من ضمنها أني أصغر تاجرة تعمل بالتجارة،

مثل بعضكم أمتلك بسطة صغيرة لا تتعدى طول جسدي في الدائري، أبيع فيها كل ما يحبه الأطفال،

كل ما لا أستطيع شراؤه أنا أبيعه.

أبيع أمنياتي الصغيرة لأجل نقودكم البالية لأعيش، فهي أكسجين حياتنا.

يمكنكم زيارتي هناك ولا مجال لتخفيضات.

ألعب بألعاب طبيعية.١٠٠٪ لا ضرر منها، ولا ضرار..

نسعد كثيراً حينما نلعب بتربة وطننا، الوطن الذي حرمنا من كل شيء إلا القليل،

أشعر بكره شديد تجاهه إلا أني أنسى كل كرهي حين أتذكر بأني أسكن أرضه، وألتحف سماءه،

وأروى ظمأي بماءه، وأسكت صرخات أمعائي بطعامه، وأني ألعب بطينه،

وسيحتضنني ترابه ذات يوم مثلما احتضن أمي..

أمي، آه كم أشتاق إليك، ليتك أخذتني معك برحلة اللاعودة هذه،

ليتك أسكنتني بجوف صدرك لأدفن معك، فقد تعبت هكذا حياة،

حقاً تعبت ولم أعد أقدر على تحمل كل هذا.

أهذا ماخلقت لأجله؟!

أهذه الطفولة التي سمعتهم يتغنون بها؟!

أولست طفلة بنظرهم؟!

حسناً فلتنسوا بأني طفلة من حقها العيش كأي طفلاً أخر،

ولكن أنسيتم بأني مواطن لي حقوق شرعها هذا الوطن؟

هههه وعن أي وطن أتحدث الآن! لم يعد هناك وطن،

ولا حتى شعب؛ كلٌّ أصبح وطن نفسه وشعبه.

يا للبؤس، حقاً كم أشفق على هذا الوطن، في حين كان يطمح لأن يصل إلى عنان السماء الزرقاء،

كان أبناءه اللذين انسلخوا عنه، يتأمرون ضده، حتى أوصلوه إلى حضيض سوداوي العمق،

كمثل قصه نبي الله يوسف حين خانه أخوته ورموه لأعماق الظلام.

ولكم أتمني لك نهاية كنهاية يوسف عليه السلام...

ولحين عودتك يا وطن تذكرني، أنا «غنى» طفلتك الفقيرة، المهمشة التي حرمتها دون

أن تدرك من كل شيء إلا القليل دون أي ذنب..

ذات نكبة

تقترب الساعة من الثانية صباحًا...

مازالت السماء تمطر بغزارة، صوت الرعود المتضاربة بين السحب تهز ما بين الضلوع.

لم استطع النوم، خيالها لا يفارقني! شيءٌ ما يشدني للكتابة عنها، كما أن الجو سوداوي كئيب،

ككابة هذه المدنية بعد نكبتها الأخيرة..

ليلى ذات العينين البنفسجية، طفلة لم تتعدى العاشرة من عمرها، سمراء البشرة، ذات عينين لامعتين

يملؤهما السواد، وشعر قصير يلائم شكل وجهها الطفولي، وشفتان صغيرتان تملؤهما التشققات،

تلبس من البؤس ثوبًا، وتتجمل بالأمل. كانت تحتضن نفسها لتدفأ قليلاً،

ولتحمي سلة الحلاوى من قطرات مطرٍ عجول، حينما رأيتها لأول مرة.

رُؤيتها بهذا الشكل جعلني أقترب منها لأحتضنها بكل قوة على ذلك الشارع الذي اعتدت رؤيتها فيه كل صباح.

كانت تأتي وبيدها سلة حلوى تبيعها للأطفال وسلة آخر تحمل فيها الورود.

كانت تبيع ما تحلم به وتشتهيه...

قالت لي مرة أن ولدتها مريضة وبأن عليها العمل لتشتري لها العلاج، وحين سألتها عن أبيها أجابتني أن الحرب سرقته منها، فوددت لو أسكنها صدري وأحميها من برد الشتاء.

ورغم كل الحزن الذي يلون حياتها إلا أنها تبتسم دايمًا، وتحلم بغدٍ أفضل.

لطالما كانت تحلم بأن تصبح طبيبة كي تبعد الألم عن جسد والدتها الحبيبة. وكانت تقول لي:

- عندما أكبر سأعالج كل المرضى مجانًا، وسأحاول بقدر المستطاع أن أقدم لهم المساعدة،

وسأبني ملجأً كبيرًا لكل من يسكنون الشوارع، وسأعاملهم بلطف وبكل حب.

كانت تحلم وتغني وتشدو كالطيور؛ ولكن صوت الموت أخرسها للأبد، أعين الشر اغتالتها فقط؛

لأنها كانت تحلم وهذا ليس من حقها.

ذلك الإنفجار الذي لم يستهدف سوى الأبرياء، والفقراء البائسين؛ كان لعنة المدينة ولعنة من قاموا به وخططوا.

لا شيء يمكنه وصف ما أحدثته تلك النكبة بهذه المدينة، وبأرواحنا وأحلامنا، لا شيء...

أي نكبة تلك التي ترغمك على تذوق الإهانة والذل دونما اعتراض، تقسم ظهرك دون رحمة،

وتثقل قلبك بالهموم والهموم والهموم..

أي نكبة تلك التي ترسم قبورًا على جسدك الصغير، وتعصر حنجرتك بالسياط،

وتقتلك كل لحظة وتجعلك تشتهي الموت. وحين تحلم بغد جميل ترسل لك قنبلة تقتلك وتقتل الغد معك.

خيبة شوق

تحت زخات مطرٍ عجول، وقفت ليلى ذات الخمار الأسود تنتظر زوجها المختطف.

«على بعد بضعة أمتار، ووراء ذلك الجدار يسجن زوجي ويعذب، ويكاد يموت»

هكذا حدّثت نفسها قبل أن تثور عينيها بدموع الأسى.

مرت الساعات، وطال انتظارها حتى أنها لم تعد تشعر بأطرافها من شدة البرد.

وفيما كانت تسرح بخيالها راسمةً اللحظة التي سترى فيها زوجها الحبيب بعد سبعة أشهر

من أختطافه لتخبره أنها بعد بضع أسابيع ستلد طفله الأول الذي لطالما انتظراه بشوق،

لكن تلك الأمنيات أضحت سراباً.

حينما قابلها شخص بوجهٍ متجهم، ذو بطن متخمة، تنبعث منه روائح القسوة والطمع..

وتتطاير من عينيه الجاحظتان شرارات تكاد تقسم أنها من الجحيم لا من مكانٍ آخر

ليجيبها بصوتٍ غليظ خالٍ من الإنسانية:

- ممنوع الزيارة

حكاية معتقل

في غرفة صغيرة الحجم، متعفنة الجدران، مشوهة الملامح، لا شيء فيها سوى الظلام الدامس، وعينان تخنقهم العبرات، وأنين تدمى له القلوب.

يقبع بداخلها شاب في مقتبل العمر قد ذبلت زهرة شبابه وعنفوانها، وقد رسم على جسده النحيل الشاحب خريطة من العذاب والذل حتى أصبح لا روح له.

وفي مكان أخر، تعتكف الأم مريم في محرابها، تدعو الله أن ينجي لها ولدها ممن وقع تحت وطأتهم ووسط ظلمهم.

وبين عذاب الشاب، ووجع الأم يضحك المجرم، ويلهو ويتلذذ بما يراه من وجعٍ وخوفٍ واستسلام في عيون ضحاياه وكأنه يتغذى من ضعفهم.

وما زالت الحكاية مستمرة...

شعب قيد الإنتظار

مضى الأسبوع، وتلاه آخر...

وهو وآخرون ينتظرون حقاً من حقوقهم المنهوبة، يصارعون ظروف الحياة، وبرد الشتاء لأجل (أنبوبة غاز).

«إلى أين سيصل بنا الحال؟

أصبحنا بالدرك الأسفل من الذل والإهانة، أصبح لا كرامة لنا على أرض هذا الوطن،

بعد أن كان منبعاً للعزة والكرامة ولا زال ربما»

هذا ما كان يجول بخواطرهم وقتها وهم ينتظرون هبة السارق للقليل من الحياة.

مضى الأسبوع، وتلاه آخر...

وبصمت قاتم يقابله لذة سوداوية بتعذيبهم، ظلوا ينتظرون..

مصير

قد عرفتهُ طفلاً خلوقاً محباً للخير يحبه كل من عرفه أو سمع عنه، كان طفلاً ذكياً ولا زال،

كان دائماً يحصل على المركز الأول بين زملائه في المدرسة.

رغم إمكانيات مدرستهِ البسيطة، وعدم كفاءة بعض المعلمين، ومحيطه القروي الذي أعاق كثيراً

ممن في عمره عن إكمال تعليمهم، رغم كل تلك الظروف والصعاب وحتى مشاكل الماضي الحاضرة،

إلى الآن لم يستسلم.

كان يحلمُ منذ طفولته أن يصبح طبيباً، أذْكر مرة حين كنا نساهر نجوم السماء في ليلةٍ

مقمرة ونسمع لحكايا جدتنا الشيقة، سألته:

- ماذا تريد أن تصبح في المستقبل؟

قال بنبرةٍ تملؤها الثقة: سأصبح طبيباً.

أجبته على الفور: ما هذا؟ كلنا سنصبح غداً أطباء هيا لا تقلدني فلتصبح شيئاً آخر أنا سأكون طبيبة.

ضحك الجميع من أجابتي، وقالت لي أمي:

- ما زلتما صغيران، غداً إن أبقانا الله سنرىٰ ماذا سيحدث.

لم أعر لكلامها أي اهتمام، لم أفكر به حتى، وأكملنا سهرتنا تلك الليلة، ونحن نضاحك القمر، ونحلم بالغد.

وها قد مضت السنوات والأيام وكبرنا، وقد أنجزنا إنجازاتنا الصغيرة تمهيداً لما قد حلمنا به بالأمس.

لقد تخرج من المرحلة الثانوية قبل ثلاثة سنوات تقريباً وبمعدل يُؤهله للحصول على

منحةٍ لإحدىٰ الدول ليكمل تعليمه، إلا أنه لم يستطع هذا.

لم يحصل على تلك المنحة، هو لم يستطع إكمال تعليمه ليحقق حلمه ويصبح طبيباً،

كان من المفترض أن يكون بالسنة الثالثة من دراسته الجامعية، ولكن...

- لماذا؟!

سألت القمر ذاته الذي كان شاهداً على حلمه تلك الليلة، وبكل سخرية أجابني:

- ألا تعلمين حقاً أم أنكِ تنكرين الإجابة؟!

فاجأني كثيراً برده هذا، ولم أعرف ماذا أقول له.

قال: هذا ما يحدث حين يعيش المرء بوطن احتُلّ من الداخل والخارج وأصبح أسيراً لزعماء الحروب،

وتجار الموت بالبندقية والقذيفة.

في زمن الأربعة وعشرين قتيلاً، والستين جريحاً؛ عشرات الأحلام تغتال فيه كل يوم، ولا وقت للحياة أبداً.

كلماته نزلت عليّ كالصاعقة، شطرتني لنصفين غير متماثلين،

فالأول مدرك تماماً لهذة الحقيقة، والآخر يأبى أن يصدق..

كيف له أن يصدق حقيقة أن وطنه أصبح مقبرة لأبناءه بعد أن كان مقبرةً للغزاة،

وبأن أحلامهم نمت فوق تربة قبورهم بدلاً من أن تزهر في القمم،

وأن وطنه أصبح يُحكم بأيدٍ ما أمسكت بشيء إلا ذبل وغدا شيئاً لا حياة له.

كيف يصدق أن هنالك على أرض وطنه صراعٌ دائم بين الحياة والموت، الأمل واليأس، العدل والظلم.

حلم طفولته قد اغتيل بِأسهم الحروب، ومزقته بلا هوادة حتى غَدا لا شيء،

مجرد ذكرى تعتصر القلب ألماً عليها...

حب تشرين

مرَّ عامٌ وشهر تشرين أقبل أمامها يُقبّل أناملها.

عشيقةٌ جديدةٌ لفترةٍ محدودة أصبحَ لديه...

كانا بلأمس عاشقان. التقيا صدفةً أم قدرًا! لا أحد يعلم..

جلس يقابلها بنظراتِ ذهول وربما اشتياق، ودون أن يكترث لأمرها ولمشاعرها المحطمة الميتة،

عشيقته القديمة كانت.

كانت كما لم تكن عليه أنثى عبرت حياته، وكان بكل وقاحةٍ ينظر بعينيه الحاجطتين المملؤتين بزرقة بحر هائج، لعينين لطالما كما يتأملهما مع شروق الشمس وغروبها. يتأمل سحر عينيها الواسعتين الكحيلتين بسواد ليالي نيسان.

أهذا اشتياق لعادة يومية كانت فيما مضى؟! أم أن لعيناها تعويذة سحر حتى بعد الفراق ما زالت تقدمه كسجينٍ لها؟!

ينظر وينظر وهي تائهةٌ هاربةٌ بنظراتها من ويل نظرات لطالما عشقتها بخجل.

تزداد حدة نظراته وكأنه يحاول اختراقها بعد أن كان يختزلها بالكامل، وكأنه يعري مشاعرها،

موسيقاها، صمتها ونظراتها.

كأنه يريد اشعال حربٍ بين نظرات عينيهما، ويظن بأن النصر سيكون حليفه، إلا أنه لا فائز في الحرب والحب.

- مازال نجم عينيكِ اللمعتان ساطعاً كما كان؟!

- يبقى بريق الذهب دائماً مهما طال به الدهر!

- كما أنتِ لم يتغير بكِ شيء سوى أنك وحيدة من بعدي؟!

- أتظنني مثلك لم أستطع حتى الآن أن أملأ الفراغ الذي تركته أنا بعشيقاتك المؤقتات، لقد تجاوزتك منذ زمن.

كصفعة تلقاها منها، أوجعت غرور رجولته بتلك النظرة التي كانت وكأنها جبل شامخ،

أخذ يرتشف فنجان قهوته رشفة رشفة، ورغم برودتها إلا أن حرارة نظراتها الملئيةِ بالثقةِ جعلته يتصبب عرقاً،

وأخذ يلملم بقايا هزيمتهِ الأولى ويفكر بالثار لكرامتهِ المطعونةِ بسهم حبٍ ضائع.

وبينما هي تحاول إقناع نفسها بأنها تجاوزته ونسيته، رفع هو ذراعه وطوقها.

عشيقةٌ جديدةٌ لفترةٍ محدودة. طوّقها واحتضنها مثلما كان يطوّق رأسها بطوق من الياسمين صنعه لها ذات مرة، وكذات شتاءٍ احتضنها ليدفآ معاً.

أدرك هو انفعال ملامحها واضطراب جسدها مما فعله، وبابتسامة خبث لم ترى أخبث منها دنا حتى يهمس، فتبلورت بؤرة عينيها وتلألأت دموعٌ بين مقلتيها.

رآها تحاول بحركاتها المخادعةِ إخفاء ما يتلألأ الآن في بحر عينيها الجميلتين، ولأول مرةٍ يشعر بغصةٍ ستفتك به عما قريب..

مطرٌ مطر، وإلتقاء عينيهما بتلك اللحظة فتح للذكرى ألفُ بابٍ وباب

لذات حب قد مضى، لمكان كهكذا مكان، لذات مقهىً كانا يجلسان فيه دائماً،

كعصفوري حبٍّ يغردان تغاريد العشق في زمن الحرب.

يتغزل بها بشعر نزاري وأحياناً درويشي يحفظه لها ليتلوه عليها وكأنها إله وهو عبد عينيها،

يتلو لها تراتيلَ مقدسة وبعض تسابيح.

لذات مساء حينما دنت الشمس لمخدعها، وهو دنا لها حتى غدا هو أنفاسُها،

فقط بعض نسمات تفصل بينهما...

إنني أَعُبدَ عينيكِ

فلا تُنبئيِ الليلَ بهذاَ الخبرْ..

قالها قبل أن يلصق بحركةٍ مفاجئةٍ شفتاه بشفتيها المحمرتان بحمرةِ الأنوثةِ التي لا تقاوم.

أحبها بجنون، تغزل بها، قبلها ثم تركها وحيدةً تصارع ذكرى قد مضت لألف ليلةٍ وليلة.

قامت تلملم شتات ما تبقى من روحها، وعلى أثر وقع قطرات مطر رحلت...

خطوةً خطوة...

مطرٌ مطر...

ونظرات تتبعها تأب رحليها ثانيةً، توقفت لبرهة والتفت لتلك النظرات...

وتمتمت بعضًا مما قاله محمود درويش..

سنكون يوماً ما نريدُ

لا الرحلةُ ابتدأتْ ، ولا الدربُ انتهى

رحلت..

ومر عام، وتشرين، وبعض من مطر...

بعد منتصف الليل

تقترب الساعة من الثانية فجراً..

وهي مازالت تحاول النوم منذ ساعات قد مضت..

قرأت كل الأذكار والآيات التي تعرفها أملًا أن يغادرها شبح أفكارها، ولكن دون جدوى.

أصابها الصداع من معركة كانت تخوضها في رأسها مع أوجاعها، وطنها، حبها، وأحلامها.

وكانت رواية (منتهاي) التي انتهت منها قبل محاولة نومها أثرها البالغ لكل هذا الضجيج.

نهضت من سريرها تمسك برأسها وتحاول البكاء والصراخ، لينتهي كل هذا الكابوس،

ليكون بقربها حتى وإن كان مجرد طيف.

وكعادتها ذهبت تختبئ من كل هذا تحت رشاش الماء البارد، لم تشعر قط ببرودة الماء كانت فقط

تريد إخماد تلك النار التي تحرق لها قلبها، بكت بغزارة حتى احمر وجهها، وأصبحت عيناها كالجحيم.

وقفت لدقائق وربما ساعات أمام المرآة تتأمل ما أصبحت عليه، تتنفس، تبكي،

تتحسس نبضات قلبها، تتخاطر معه ربما يسمعها، ربما يشعر بها، ربما ينقذها.

أغمضت عينيها لوقت من الزمان وقبل أن تفتحهما ارتسمت على ثغرها ابتسامة ياسمين،

ارتدت أجمل ما لديها، ولونت شفتيها بلون الزهر، رقصت قليلاً، وتمايلت كغصون الصنوبر، ثم نامت...

العجوز الغراب

«إنهم لا يحبون المنطوي ولا يستريحون له، فهم يفهمون أن تكون وقحًا أو صاخبًا، أما أن تكون منطويًا مهذبًا غامضًا، فهم يظنون بك الظنون»

عندما قرأت هذه العبارة للدكتور أحمد خالد توفيق تذكرت جاري العجوز الذي يسكن مقابل منزلي هذا، الذي حذرني أهل الحي من الاقتراب منه عند انتقالي لسكن هنا.

لا أنكر بأني شعرت بالخوف عندما رأيته لأول مرة. عجوز يبلغ من الحياة سبعين موتًا، ذو وجهٍ عريضٍ، وعينين جاحظتين، ولحيةٍ صغيرةٍ أسفل ذقنه يكسوها الثلج، وبعض الشعيرات البيضاء تتوزع على صلعةِ رأسه الكبير.

بعد مضى أيام علمت من إحدى ثرثارات الحي بأن سبب خوفهم منه؛ هو علاقته بالغربان، حتى أنهم أصبحوا يلقبونه «بالعجوز الغراب» ضحكت كثيراً لجهلهم هذا.

لطالما كانت الغربان مصدرًا للشؤم والنحس، وكل من يسمع نعيقها يشعر بالضيق والهم. خرافات انتقلت إلينا من الحكايات الهندية القديمة؛ فأصبحنا نؤمن بها.

حتى أنا كنت أخاف منها. فمنذ طفولتي وأنا أرى الغربان في الأفلام الكرتونية مرتبطة بالشر، وحينما كبرت بدأت أراها في أفلام السينما المرعبة.

****

كنت أحب مراقبته من نافذتي وهو يطعم الغربان ويسقيها وأحياناً يلعب معها، حتى أني كنت أتخيل بأنه يتكلم لغتها، وكنت أضحك كثيراً عندما يضحك معها.

كنت أرغب بشدةٍ بالانضمام إليهم، فأخذت قراري وذهبت إليه ونشوة الحماس تغمرني:

- اامم... مرحبًا سيدي!

نظرته لي في تلك اللحظة أرعبتني كثيراً ولكن سرعان ما شعرت بالراحة حينما لمعة عيناه وابتسم لي»

- أهلاً بك أنسة جيني.

- أوه كيف عرفت اسمي؟

- أهذه لك؟

قالها وهو يشير إلى ما بين يديه

- قلادتي، نعم إنها لي، أين عثرت عليها؟

قهقه قليلاً ثم قال: لم أعثر عليها بل أتتني هدية.

- ماذا؟ هدية؟

- نعم، هدية من أصدقائي الغربان.

- ولكن كيف هذا؟

- الغربان يا آنستي تحب دائماً خطف كل شيء يلمع.

- آه نعم هذا صحيح. حسناً شكراً لأنك أعدتها لي لقد كنت أبحث عنها من مدة.

كان الصمت حينها سيد الموقف إلا أن نعيق الغربان كان مزعجًا جدًا بالنسبة لي على عكسه تمامًا..

- كيف أصبحت علاقتك بالغربان هكذا قوية؟

سألته بينما هو يطعمها.

- أترين هذه الغربان؟ إنها عائلتي وكل أصدقائي.

- وكيف هذا؟

أغمض عينيه قائلاً بعد تنهيدة طويلة:

- عندما توفيت زوجتي كدت أصاب بالجنون، هجرت كل شيء كان في حياتي،

لم يكن لي أولاد، ولا حتى أصدقاء حقيقيين، وذات يوم عثرت على غراب مصاب إثر محاولة صيد له،

فأخذته، واهتممت به، وعندما تعافى تركته يرحل، ولكنه عاد إليّ مع أصدقائه وأصبحوا بقربي أينما ذهبت.

كنت أنزعج كثيراً لكنني اعتدت عليهم، أظن بأن لولا وجودهم معي؛

لكنت شربت زرنيخا منذ زمن، وأنهيت حياتي.

الغربان وفية جدًا وإن قدمتي لها معروفاً ستكافئك بقربها، وبكل الأشياء اللامعة التي تسرقها مثلما حدث معك.

كانت هذه أول محادثة بيننا وكانت بدايةً لحياة أخرى مختلفة عما كنت أعيشه،

ما زلت أتذكر ذات مرة حينما قال لي بأن الغربان ذكية جداً وبأنها عادلة.

- أتعلمين يا عزيزتي بأن للغربان محاكم تقيم فيها العدالة أفضل منا!

- أحقًا؟!

- نعم، لديها عقوبات صارمة ولكل جريمة عقاب.

- واااو هذا مدهش.

- حينما يرتكب أحد الغربان جريمة تجتمع كل الغربان بأي مكان لتنفيذ العقاب.

لو أن غرابًا سرق طعام صغار غراب آخر، فعقابه هو نتف ريشه. وإن هدم عش غراب آخر؛ فعقابه بناء عش آخر لهذا الغراب. وأما إن تحرش بزوجة غراب آخر؛ فالموت نقراً هو عقابه.

****

يوم موت جاري العزيز كانت الغربان تحلق مُشكلةً سحابةً سوداء فوق منزله كبوادر عاصفة هوجاء، وتنعق بكل صوتها وكأنها ترفض رحيله وتبكي عليه.

ها هي لليوم معه برفقته تحوم فوق قبره تقبله، وتهديه كل ما يلمع.

فأي وفاءٍ هذا؟ وأي قسوةٍ هذه التي تغمر قلوب أهل الحي الذين احتفلوا بموته؟

ذَاتَ حُلمٍ مَجنُون

كان طريق رحلتي إلى مدينة جورجيا جميل وممتعٌ جدًا، وغريبٌ أيضًا، كما أنه للحظات بدا لي مخيفًا عندما كنت أفكر ماذا سيحدث لو سقطت ميتةً بدلاً من مسافرة! فطريق سفري كان عبارة عن ممرات حلزونية تزحلقت بها لكي أصل إلى غايتي.

هذا جنوني أليس كذلك؟

قرب وصولي أصبحت الممرات هذه خطيرةً جدًا حيث أن بعضها كان محطمًا أشبه بطريقٍ للموت المحقق، ولم أصدق نفسي عندما لامست قدمي ساحل جورجيا، وتداخلت الرمال بين فراغات أصابعي.

كان القمر كبيراً مضيئًا يتوسط السماء بكل كبرياء، ويتوسد الغيوم التي حوله، ويسامر النجوم اللامعات بجواره؛ وكأنه سلطان زمانه وهن جواريه.

رغم سحر المنظر الذي أسرني إلا أني شعرت بالخوف الشديد وكأنما عقلي عاد للعمل...

يا إلهي، ما الذي أفعله هنا؟

لا أعرف أحد ولا حتى أجيد لغتهم إلا قليلاً.

بعد هذا وجدت نفسي وسط منزل، رأيت رجلاً وامرأةً عجوزًا ذات بشرة سمراء، فشعرت بالأمان حينما رأيتها، فتوجهت إليها وألقيت عليها السلام.

- السلام عليكم.

متوترةٌ أضم يديّ مثل الهنود في حين أن جبيني يتصبب عرقًا

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

قالتها وهي تبتسم لي، فتفاجأت وفرحت كثيراً حتى دنوت منها واحتضنها وكأنها أمي، وكدت حقاً أن أبكي»

- أنا، أنا أتيت إلى هنا دون أن أخبر والدي ولا أعلم كيف فعلتها حقاً.

ربتت على كتفي وهي تقول:

- لا تقلقي يا بنيتي، ما اسمك؟

- مروى. لا أعلم لماذا أقدمت على هذا الفعل الأحمق. قلت لنفسي بأن هذه فرصتي،

فقط يوم واحد أعيشه كما أريد دون تدخل أي أحد بي، سأظل فقط يوم الجمعة وسأعود.

هو يوم واحد ولن يلاحظ أحد هذا، ولكن والداي\سيكتشفا غيابي، وحينما أعود ماذا سأقول لهما؟

وهل سيصدقان أنني كنت أتسلى بالإنترنت حتى وصلت إلى هنا؟

أريد العودة الآن، ولكن ليس في جيبي سوى مئة ريال.

حينها خرج من البيت الذي كان في الحقيقة فندق صغير، زوجان عربيان على وشك الرحيل أوقفتهما حتى يساعدانني، كانا يحدثاني بأن لا أعود، وبأن لي الكثير من المنازل هنا، وإن عدت؛ سأخسرها.

لم استوعب كثيراً حديثهما؛ لكنني أصريت على العودة، فذهب زوجها ليجد لي تذكرة سفر،

وتأخر كثيراً حتى أصاب الهلع قلبي.

تذكرت حينها صديقي مجيد الذي يعيش في ألمانيا، بحثت عن هاتف لكي أحدثه، ولكن دون جدوى،

وهكذا فقدت الأمل.

في تلك اللحظات القمر الذي استقبلني، ودعني الوداع الأخير، لتلقي الشمس عليّ السلام وتغمرني

بُقبلها عبر أشعتها الذهبية.

تلك اللوحة التي رأيتها أثملت عقلي، وروحي، وكل شيء بي، حتى فكرت بعدم العودة وبأن أكون

مفقودة لا أحد يعلم عنها شيئًا، فكيف لي أن أحرم نظري، وكل حواسي من منظرٍ كهذا!!

شروق الشمس على شاطي جورجيا، ولون الشاطئ الأزرق، والفاتح جعلني أركض إليه وأنا أنزع عني عباءتي السوداء.

كنت أرتدي فستانًا محتشمًا، وركضت في البحر حتى أصبح الماء يصل لركبتي.

آه أقسم لكم بأنه جميل جداً.

رجعت بعدها لأضع واقي الشمس وألتقط بعض الصور لتصبح ذكرى، وغابت شمس ذلك اليوم في وقت قصير؛ قبل أن أستمتع بالحرية في جورجيا.

الحرية لها مذاق ساحر...

كتلة أُمنيات..

روح ابجدية ، وكتلة أمنيات تسكنني حد الحياة، وحد الجنون..

أتمنى أن أكون ملاك رحمة للعالمين..

أن أكون نجمة في مجرة في فضاء الأدب الشاسع.

أن أكون فنانة تتقن صنع الجمال، وتلعب بالألوان من تحت رماد الحياة.

أتمنى أن أكون قمرًا يتغزل به الشعر ليلًا..

أن أكون جنةً، أو حتى كومة وطن يشدو به حمام السلام..

أن أكون قطرة مطر سقطت فوق أكتاف عاشقين يتلوان تراتيل حبهما المقدس.

أو حتى ضحكةً لمن فقد شهيته للحياة.

أن أكون عنوانًا لحريةٍ قد سُلبت منا قبل أن نولد..

أن أكون سيمفونية أمل تعزف كل صباح من بين أدخنة المدافع.

أتمنى أن أكون آخر رصاصة تُطلق في وطني الجريح..

كان ينقصني شيء ما ليكمل أنثويتي القرمزية..

والحمدلله قد عثرت عليه حين أمسكتُ بقلمٍ وورقة، ودونتُ جُزءاً ضئيلاً من الضجيج

الذي يسكن أعماقي على بضع سطور.

بتلك السطور اكتملت أنوثتي الطاهرة في لحظة ميلادي السماوية، هكذا أصبحتُ

فتاة يقال بأنها كاتبة و يشهد لها الجميع بمستقبل لامع كنجم

عينيها..

هكذا بدأت أنا فتاة التاسعة عشر ربيعًا وحرفًا.

مروى

مرحباً قارئي العزيز...

أتمنى أن تعجبك أحرفي القرمزية التي نسجتها مع خيوط الشمس، والحلم.

وإنه لمن دواعي سروري أن تقتبس لي مع ذكر اسمي

لا أن تتبع نفسك إن سولت لك «بسرقة « حرف من هنا لتتفاخر بأنه حرفك أنت

إنها دمائي ونبضاتي، وليست أحرفٌ فقط..

روحي الممزقة فيها حتماً ستصيبك بلعنة الخرس الكتابي..

لا أسمح بذلك أبداً

(ذمة).

فهرس